مطبوعات الفجر ١١

حتى لا يطول الانتظار

قصص

محمد نور الدين

مطبوعات الفجر

تصدر عن جماعة الفجر الأدبية بالقاهرة

المشرف على التحرير دكتور يسري العزب

رقم الايـداع : ١٥٠٨١/١٩٩٨

I.S.B.N. : 911-19-1341-X

المحتـــــوى

حتى لا يطول الانتظار

اقشعر بدن الحاجة أم سعيد فجأة عندما دغدغ رنين جرس دراجة محمود أفندى (البوسطجى) مسامعها، وكل أحاسيس الأمومة فيها.. استحالت فى لحظة من سيدة كبيرة، وأرملة تجاوزت الخامسة والستين من عمرها، إلى فتاة مراهقة تنتشى مشاعرها، ويشملها التوتر كلما اختلست أذناها صوت رنين جرس دراجة محمود البوسطجى، فى الحال تملكتها أحاسيس ومشاعر جمة ومتناقضة.. الشوق واللهفة.. التوجس والخوف.. التوقع المتفائل فى إحضاره هذه المرة لخطاب، أو أكثر من أى من أبنائها الأربعة الذين يعملون خارج الوطن.. لكن انتظارها الذى طال لثلاثة أشهر خلت دون خطابات منهم يشع فى أطراف أحاسيسها بنبض من توجس وقنوط.. لثلاثة أشهر زحفت من فوق أيام عمرها كثعبان سام ثقيل وبشع كانت تركض كمراهقة ملهوفة إلى نافذتها .. فى كل مرة يتوافد إلى أذنيها رنين جرس دراجة محمود (البوسطجى) الذى تعرفه جيدا منذ أكثر من عشر

سنوات تسلم فيها العمل فى هذه المنطقة كموزع للبريد.. كما أنه يعرف أولادها الذين كانوا يرسلون إليها الخطابات.. بل كان يشعر بسعادة كبيرة كلما حمل إليها رسالة من أيهم.. ليس فقط لاستمتاعه برؤية مشاعر الفرحة التى تشب من عينى الحاجة على وجهه ويده التى تسلمها الخطاب .. لكن أيضا لهذا العطاء الذى تصر الحاجة على نفحه إياه كمكافأة..كانت تجرى إلى النافذة المطلة على الحارة من الطابق الأرضى..تفتح النافذة على مصراعيها سائلة عن رسائل جديدة، قبل أن ترد عليه تحية الصباح التى يصافح بها ما معها، حتى قبل أن تفتح نافذتها التى تفضل فى العادة أن تحتفظ بها مغلقة فى معظم الأوقات، حتى لا تتسرب عفرة الطريق إلى داخل شقتها الواسعة، والتى لم يعد يقبع فيها غيرها، بعد أن مات زوجها منذ سنوات وسافر الأولاد الأربعة بأُسَرِهم إلى الخارج.. صار من الصعب عليها القيام بنظافة شقتها الواسعة..وخاصة أن أيا من بنات الجيران لم تعد تأتى لزيارتها، والاطمئنان عليها كما كان الحال، قبل أن يتزوج أولادها الأربعة.. الآن لم تعد واحدة منهم تتذكرها.. لم يعد باب شقتها الموصد عليها طوال اليوم

يستيقظ بطرقات الزائرين كما كان الحال عندما كـان زوجهـا بصوته الرجولى الفخم يجلجل فى فراغات الشـقة التـى آلـت بفضل الصمت والسكون إلى مقبرة تقطن بها امـرأة لـم تـزل حية وتتنفس.. كـل آمالها أن تـرى أولادهـا وأسرهـم يدقــون بابهـا ذات يـوم.. لكـــن الثلاثـة أشـهر التـى حتـى انسحبت بتلكؤ وببطء مميـت، لـم يأتهـا محمـود (البوسـطجى) برسـالة واحدة .. كأن أولادها قد استغنوا عنهـا بزوجـاتهم وأولادهـم .. فـى هـذه المـرة فكـرت أن تسـرع كعادتهـا لتفتـح النــافذة، وتكرار السـؤال عـن رسـائل .. لكـن خجلهـا وإشـفاقها علـى نفسها وهــى تُلْطَـم بنظـرات الأسـى، والعطـف، والشـفقة مـن عينى، ولسان محمـود (البوسـطجى) وهـو يعتـذر لهـا آسـفا، محاولا إبقاء الأمل حيا فى نفســها، باحتمـال وصـول رسـائل فى الأيام المقبلة .. ترتد هـى مـن جديـد إلـى داخـل مسكنها بجدرانه الخرساء .. تضطر إلى التحـدث مـع نفسـها .. كـل هذه المشاعر التى يفيض بهـا وجـه (البوسـطجى) حـال دون هرولتهـا هـذه المـرة .. فضلـت البقـاء جالسـة فـوق أريكتهـا المعتادة، ضاغطة بأناملها المرتعشـة علـى حبـات مسـبحتها، التـى ترافقهـا معظـم أوقـات نهارهـا وليلهـا.. عللـت نفسهـــا

بالصبر فى مكانها محتفظة برزانتها وعزة نفسها ((لـو كـان يحمل إلىّ خطابات منهم .. حتما سيرن جرس الشقة)).

مع انتظارها لرنين جرس شقتها تعالى وجيب قلبهـا .. استشرى الخدر فى عروقها .. للحظات طالت وطالت لـم يبشرها جرس الباب بشىء .. قدرت الوقت الـذى يمكـن أن يستغرقه (البوسطجى) لكى يصعد السلم المكـون مـن خمـس درجات فقط، بعـد أن يسند دراجته العتيقة إلـى جـدار مدخـل البيـت .. لكـــن لا صـوت لأقدامـه الصـاعدة .. لا صـوت لسقوط دراجته على الأرض بعد ألا تمكنه اللهفة من إسـنادها إلى الجدار بعناية .. لكنها سمعت بـدلا مـن كـل هـذا صـوت أحـد الرجـال ينـادى وينـادى عـن ((الكتـاكيت البــدارى)) .. بعدها بوقت قصير ارتفع فى الحارة ضجيج ولغـط .. دفعهـا الفضول إلى التقدم إلى النافذة .. فضلت أن تطالع الأمر مـن شيش النافذة .. تتابع كل ما يحدث دون أن يراها أحد ..

تبينـت أن رنيـن الجـرس لـم يكـن لدراجـة محمـود (البوسطجى) .. بائع الكتاكيت هـو الـذى يحمـل كتاكيتـه فـى قفصيـن كبيرين علـى الدراجـة .. راحـت تتـابع إقبـال نسـاء الحارة وتجمعهن حول البائع الذى يزور الحارة ربمـا للمـرة

الأولى .. شدها منظر الكتاكيت الصغيرة ببراءتها، وتألق ألوان شعرها الجديد .. تذكرت أطفالها حينما كانوا صغارا وضعافا فى عمر هذه الكتاكيت .. خامرها شعور بالعتاب لقسوتهم .. ارتج جسدها مرة واحدة .. طفرت دموعها من عينيها انفعالا عندما طاف خيالها بأيام قد ولَّت، حينما كان يجدها كل من يحتاج إليها سواء الزوج أو الأولاد .. كانت تجد كل سعادتها فى تلبية كل حاجاتهم صغيرة وكبيرة .. الآن صارت هى فى حاجة إليهم ولم تعد تجد أحدا .. صفع خاطرها سؤال ((هل أخطأت فى تربيتهم؟!! .. أكنت أرضعهم مع حليب ثديى معانى الجفاء والهجر والقسوة؟..!! .. لماذا يفعلون معى هذا؟!! .. يبدو أن كل واحد منهم اكتفى فى غربته بزوجته وأولاده)) .. فى كل عام يرسل كل منهم بخطابات يعتذر فيها عن عدم مجيئه لزيارتها هذا العام أيضا مبررا بالظروف التقليدية .. ثم يجملون اعتذاراتهم بمبلغ نقدى .. كأنهم يلقون إلىّ بثمن تربيتى لهم!! .. ويتعاملون معى كأى خادمة تعمل بمقابل .. توسلت إليهم فى أكثر من خطاب .. استحلفتهم بزوجاتهم وأولادهم أن يأتوا .. شرحت لهم مدى شوقى، وولهى الحقيقى لرؤية عيونهم وعيون

أولادهم .. أخبرتهم أن الأيام تفر من بين يدى .. لم يعد عندى القدرة على الإمساك بها .. لكن .. بلا جدوى!! .. لم يستجب واحد منهم!! .. اكتفوا بالرسائل .. ((حتى الرسائل نسيوها أيضا!!..))

فجأة اجتاح كيانها موجة هائلة من التحدى لكل مشاعر الضعف، والاستجداء، والترقب لرسائل من أبناء لا يتذكرونها .. علتها موجات وموجات من التأنيب لنفسها .. تعنيفها لكل أحاسيس الاستسلام لرحمة أولاد أخرجتهم للحياة واستغنوا عنها .. فى الحال رفعت كفها .. جففت عينيها بطرف طرحتها البيضاء.. زمت شفتيها بإصرار .. نهضت متوجهة إلى بائع الكتاكيت مباشرة .. طلبت منه أربعة كتاكيت فقط !!.

عادت الحاجة أم سعيد إلى شقتها حاملة بين كفيها – بحنان أمومى وحذر – كتاكيتها الأربعة، غير عابئة بالدهشة التى سيطرت على نساء الحارة، وبائع الكتاكيت، ليس فقط لإصرارها على شراء أربعة كتاكيت لا أكثر فى هذا الجو الشتوى البارد الذى يدفع كل النساء إلى شراء أكبر عدد ممكن من الكتاكيت تحسبا لموت عدد كبير منها بسبب

البرد .. وبالرغم من أن الحاجة أم سعيد تعرف هى الأخرى هذه البديهية!!.. لكن الدهشة الحقيقية كانت بسبب إصرارها على اصطفاء كتاكيت معينة دون غيرها من بين العدد الكبير الذى طرحه أمامها البائع فوق القفصين الكبيرين..

بإحساس جديد بحلاوة الدنيا .. جلست الحاجة أم سعيد إلى كتاكيتها الجديدة داخل شقتها .. فرشت تحتها ورقة (كرتونية) كبيرة لتعزلها عن رطوبة أرض الحجرة .. وضعت لها بعناية إناء صغيرا من الماء .. نشرت لها حبيبات الطعام الطرى المبلول فوق الفرشة .. فقدت الإحساس بالزمن عندما شرعت تتابع بانبهار صغارها الجدد .. استشعرت أن هذه المخلوقات الصغيرة الضعيفة بحاجة حقيقية إلى حمايتها، ورعايتها، والعطف عليها .. لم يفطن أحد من نساء الحارة، ولا بائع الكتاكيت إلى أنها اختارت الكتاكيت على أساس من وجود العديد من الملامح المشتركة بينها وبين أولادها، حينما كانوا فى عمر الكتاكيت .. أحدها هادىء الطباع ورزين .. لا يتحرك من مكانه إلا إلى المسقى أو الأكل .. ابتسمت إليه .. مدت يدها إليه بحنان .. رفعته بود ورقة إلى شفتيها المبللتين بالشوق واللهفة وقبلته

هامسة بإخلاص : ((طوال عمرك كنت رزينا وعاقلا يا فؤاد يا حبيبى .. لم أتذكر يوما أنك سببت لى أو لأبيك أى مشكلة)) .. لكن هذا الكتكوت الوثاب المتهور الذى لا يمكنه الاستقرار فى مكان واحد للحظات .. كثير المشاغبة والمشاكسة مع إخوته .. ينتزع منها الطعام الذى فى فمها – بالرغم من أنه ليس أكولا .. ((إنه بالضبط يشبه أخاك فتحى .. فبالرغم من ضآلة جسمه.. إلا أنه كان كثير الشجار والنزاع مع أولاد الجيران .. لكم سببت لنا من مشاكل مع الآخرين!!.. ولكم حرمناك من الخروج للعب كعقاب على ذلك .. لكنك مع ذلك كنت تجعل للبيت صوتا مسموعا .. كنت تملأ جو أسرتنا بالحيوية والتوهج .. بيننا وبين أنفسنا أنا والمرحوم كنا نطير بك فرحا دون أن نظهر لك، حتى لا تتمادى فى شقاوتك .. كنا نعشم أنفسنا بأنك – عندما تكبر – ستكون رجلا بمعنى الكلمة .. ستكون لنا سندا حقيقيا فى شيخوختنا .. ما أجمل شقاوتك وحيويتك ..)) بهدوء أنزلت الكتكوت الهادىء من فوق شفتيها وعيناها الباسمتان تتابعان الكتكوت الوثاب .. للحظات ظلت ترقبه متربصة متحفزة .. فاجأته بحركة سريعة ورشيقة من كتفها المفرود بأصابعه

الحانية .. قبضـت عليـه .. لـم تفلـح حركاتـه المتشـنجة، ولا صراخه المتلاحق المتأفف فى التملص من بيـن أصابعهـا .. فى الحال رفعته هو الآخـر إلـى شفتيها هامسـة إليـه برجـاء وحب : ((اهدأ يـا فتحـى يـا شـقى .. لا تحـاول الفرار مـن أحضان أمك)) لكنه لم يستجب لرجائها .. واصـل محاولاتـه بإصرار للتخلص من احتضان أصابعها .. لم تشأ أن تضايقه أكثر من هذا .. عاجلته بقبلة سريعة .. وضمته على فرشـته الورقية فى الحال .. أخذت تضرب فـى ضحـك سـعيد حتـى فاضت عيناها بالدموع .. تذكرت أنها لم تعايش هذه السـعادة منذ سنوات بعيدة .. رددت لنفسها مؤكـدة بصـدق : ((فتحـى هو فتحى .. لم يتغير .. حتى بعدما تزوج وأنجب ـ .. حتـى أولاده الصغار قد ورثوا عنه نفس طباعه!!))، لكنها قبـل أن تنزلق إلى نهر ذكرياتهـا مـع فتحـى وزوجتـه القاسـية معهـا، أُخِذَت بهذا الشبه الكبير جـدا بيـن واحـد مـن كتاكيتهـا وبيـن ابنهـا الأكـبر سـعيد.. صـاحت بدهشـة وبإيمـان عميـق ((يـا سبحان الله .. نفس اللون الأسمر والعينين العسليتين .. بـل إن الكبرياء!! .. العنجهية التـى كـانت تضـايق معظـم النـاس منه!!.. هى هى نفسها التى يشعر بها هذا الكتكوت المتباهـى

بكبر حجمه وقوته .. سعيد .. ابنى البكرى .. الذى أدخل أول فرحة إلى قلوبنا .. شرفنا بالتمام بعد زواجنا بتسعة أشهر .. حماتى كانت أكثر الفرحات بميلاده لأنه ولد .. كانت تردد فى أذنى بشكل دائم – كأنها تطرى علىّ – المثل الشعبى ((لبن البكارة فى البنات خسارة)) .. كنت أشعر أنا أيضا بغبطة طاغية، وخاصة أن سلفتى لم تكن تنجب غير البنات .. يبدو أننى أرضعت سعيدا مع الحليب الشعور بالفخر والتعاظم حتى صار مغرورا هو الآخر .. حتى على أمه التى نسى أن يخط لها خطابا منذ فترة طويلة!! .. ومع ذلك سيظل ابنى الحبيب .. لن أغضب عليه أبدا)) بدافع من واجب عدم التفريق بين الأبناء .. مدت يدها منتزعة إياه من حالة التبختر التى يعيشها فوق المفرش الورقى .. قبلته فى صمت .. لم يتحرك أبدا .. كأن الأمر لا يعنيه .. وضعته من جديد بينما كانت عيناها مشدودتين لهذا الرابع المنصرف عن كل ما حوله بتناول الطعام والشراب طوال الوقت .. كأن الدنيا لم تخلق لنا إلا للحصول منها على الطعام .. راحت ترنو إليه .. ابتسمت .. اتسعت ابتسامتها حتى استحالت إلى ضياء صاف غسل كل كيانها، وطهّر نفسها

المهزومة .. استشعرت أن حياتها لم تفر منها .. إنها تبدأ الآن .. إنه ابنها الأصغر جابر .. خمنت أنه سيكون فى مثل ضخامة جابر خلال أيام فقط، بفضل رعايتها وسهرها على راحته، وتلبية كل حاجاته من الطعام والشراب .. فاضت ابتسامتها أكثر وأكثر حتى تحولت إلى ضحك مسموع، وهى تتذكره عندما كان يغافلها، ويتسلل إلى حلة المحشى ويلتهم نصفها قبل أن تجتمع كل الأسرة على العشاء .. وضعت بين شفتيها بعض الطعام الطرى .. أمسكت بجابر .. قربته من فمها .. همست بثقة وود مخاطبة إياه : ((سأجبرك أنت على تقبيل أمك فى شفتيها يا جابر..)) فى الحال .. وبعد أن لمح الكتكوت الطعام يبرز من فمها الممدود بإغراء .. اختطفه منها بنقرة واحدة .. لم تتمالك نفسها من الضحك .. شرعت تغمره بالقبلات .. وضعته مع إخوته حول الطعام والشراب .. واصلت استغراقها التام فى متابعة أولادها الجدد.. تمددت فى أعماقها إرادة طموح فى أن تنجح فى تربية أولادها الجدد تربية مغايرة .. ستجعل منهم أولادا بارين بها .. ستخلق منهم الوفاء والحب .. لن تسمح لأى منهم بالتعاقد والسفر إلى الخارج .. مهما كانت الأسباب .. همست لنفسها

بحزم ((يجب ألا أكرر خطأ الماضى .. لن أتركهم يبتعدون عنى أبدا..))

مع مقدم المساء .. لملمت الحاجة أم سعيد كتاكيتها الأربعة .. وضعتها بعناية فى سلة يتخللها الهواء.. غطتها بحرص شديد .. قربتها من سريرها .. حصنتها بآية الكرسى والمعوذتين وسورة الإخلاص .. ابتهلت إلى الله أن يحفظ أبناءها الجدد من كل سوء .. تمددت فوق سريرها فاردة جسدها المرهق .. لأول مرة منذ سنوات طويلة جدا تشعر بمتعة النوم ولذته محاطة بأنفاس وهمسات صغارها الجدد، وفى ظلال تعاظم إحساسها بالمسئولية تجاه صحتها ومستقبلها، قررت أن تفتح كل نوافذ شقتها للهواء وشمس الشتاء العفية، حتى تمرح وتسعد بها كتاكيتها الحبيبة ابتداء من صباح الغد .

❖❖❖❖

* فازت هذه القصة بالمركز الأول بالإذاعة البريطانية B.B.C من بين ١٣٠٠ قصة متنافسة ١٩٩٣. ونشرت بمجلة (الفجر) العدد الأول – يوليو ١٩٩٨.

اليـــــوم الأول

ما أن اقتحمت باب المدرسة الابتدائية، فى أول يوم -المدرسة التى كنت أسمع عنها بشـغف مـن إخوتـى الكبـار، وأصحـابى الذيـن يسـبقوننى فـى العمـر - حتـى أخـذت بهـذا الاتساع الهائل لفنائها!!، وبالرغم من أن أخى الأكـبر يقبـض على يدى الصغرى بحـرص شـديد - كمـا أوصتـه أمـى فـى البيت -.

إلا أننى بدأت أشعر بالضياع الحقيقى فى خضم هذا العـدد الكثيـف جـدا مـن التلاميـذ بقامـاتهم المتفاوتـة، تذكـرت الأيام الممطرة العاصفة، كـأن سـاحة المدرسـة مكـان شاسـع أمطـرت فيـه السـماء أولادا بـدلا مـن المـاء، وجـدت نفسـى بتلقائية أقبض على أصابع أخى بخوف، واضطـراب، ويبـدو أنه أحس بارتباكى، وإحجامى عن التقدم أكثر من هذا داخـل المدرسـة، فنظـر إلـىَّ مطمئنـا ومشـجعا، وهمـس فــى أذنــى بصوت دافىء ((المدرسة حلـوة وجميلـة يـا وليـد .. انظـر.. كل التلاميذ فرحون سعداء .. هل تـرى هـذا الطفـل الصغيـر

كيف يشب بمرح وسعادة؟!! .. إنه مثلك فى الصف الأول الإبتدائى .. أول مرة يأتى إلى المدرسة..)) .

لم يكن فقط هذا الاتساع وهذا العدد الضخم من التلاميذ هو الذى أثار مشاعر الفزع فى نفسى، لكن منظر أحد الأساتذة كان يصيح بغضب وصوت ساخر، وملامح متجهمة منقبضة، ويلوح بخيزرانة طويلة فى يده : ((اذهبوا جميعا إلى وسط الفناء .. لا أحد منكم يقترب من مبنى إدارة المدرسة .. من لم يسرع سأضربه بالعصا..)).

جذبنى أخى بخوف وتوتر بعيدا عن المعلم، وأسرع مجرجرا إياى إلى عرض الساحة .. بين لحظة وأخرى كنت أختلس النظرات برعب إلى الأستاذ، والخيزرانة المتراقصة فى يده كالكلبة المسعورة، فاض الرعب فى أعماقى وتسلل إلى مقلتى على شكل دموع أخذت تسيل فوق خدى الطازجين، كنت متأكدا أن هذا المعلم الذى يمسك بالخيزرانة مهددا بها الجميع سينقض علىَّ حتما بعد لحظات، لابد أنه سيضربنى على يدى وفوق مؤخرتى بعد أن يكلف فراش المدرسة باحتضانى بقوة، حتى لا أفلت من تحت العصا، تماما مثلما كان يحكى لى أخى الأكبر وأصحابى الذين

التحقوا بالمدرسة قبلى بسنوات، كانوا يتحدثون برعب عن ((الأستاذ فرغلى مدرس التربية الرياضية)) وكيف أنه لا يرحم من يقع تحت يده من التلاميذ، وأنه هو مسئول التعذيب والضرب والقتل بالمدرسة، لابد أن هذا الأستاذ هو فرغلى، رفعت عينى الدامعتين إلى أخى متوسلا : ((أريد العودة إلى ماما فى بيتنا ..)) ضحك أخى مهدهدا على ظهرى : ((لماذا أنت خائف هكذا؟!!)) اختلست النظر من جديد إلى الخيزرانة المتراقصة وسألته بذعر : ((أليس هذا هو الأستاذ فرغلى؟!!)) .. تضايقت من أخى إلى حد الثورة عليه عندما استغرق فى ضحك مفاجيء دون سبب، فصرخت فيه كالمستغيث : ((عد بى إلى ماما حالا أرجوك يا فهمى .. أقبل يدك..))، تفاقم سخطى عليه عندما أهمل توسلاتى الصارخة وتضرعى المرتجف، جذبنى من جديد بعنف إلى عمق الفناء المدرسى وصاح فى وجهى بأنفاس خشنة نضب منها أى أثر للعطف والحنان الذى كان قد أبداه لى من قبل، تأججت أحاسيس الرعب فى نفسى أكثر من ذى قبل، أدركت أن أخى فهمى هو الآخر قد استحال إلى فرغلى ولكن بدون خيزرانة، تملكنى توتر قاتل عندما أدركت فجأة أن الجميع قد

تآمروا عليَّ فى وقت واحد، وأننى وقعت فى الفخ بقدمى، أبى وأمى وأخوتى وأصحابى وأقاربى وجيرانى .. كلهم .. كلهم تآمروا عليَّ، أوهمونى بأن المدرسة شىء جميل وطيب، صدقتهم جميعا .. وها أنا أجد نفسى وسط غابة من الوحوش الشرسة محاطة بسور شاهق، وباب واحد يسمح بالدخول فقط، ولا يسمح لأحد بالخروج، أحسست بلسعات الخيزرانة المتراقصة فى الهواء، وهى تسقط بقسوة على مؤخرتى وسط طابور التلاميذ، وجميع الأولاد يضحكون عليَّ، ومعهم أخى فهمى ، لم أتمكن من السيطرة على فمى وهو ينفجر بأصوات توسلات محمومة وصاخبة، للعودة بى إلى ماما، غاظنى أكثر أن بقية أولاد المدرسة بدأوا ينتبهون لوجودى، وينظرون إلىَّ، ويقتربون منى بدهشة وفضول، ولم تؤد هذه التوسلات إلى زيادة نبرة القسوة والسخرية فى صوت أخى الذى بدأ يستشعر الحرج من خلال تجمع كل التلاميذ حولنا، كما لو كانوا يتجمعون ببهجة حول الحاوى، فصرخ فىّ : ((كفاك بلاهة وقلة أدب.. فضحتنا وسط المدرسة..)) ولم يكتف أخى بالصراخ فى وجهى، بل لكزنى

بشدة فى كتفى مما رفع حدة صراخى وإصرارى علــى العودة إلى حضن ماما حيث النجاة .

ولم يقطع علىَّ صراخى هـذا إلا صـوت أكثر منـه حدة .. كان صوت جرس المدرسـة الـذى سمعته لأول مـرة مستغربا .. للحظـات توقفت عـن البكـاء والصـراخ وأخـذت أتـابع بقيـة التلاميـذ الذيـن انفضـوا عنـــى فجـأة !! ودون أن يأمرهم أحد !! تعجبت لأن كلا منهم وقـف فـى مكـان محـدد دون غيره، ولكنى عدت للصـراخ مـن جديـد حينمـا تملـص أخى فهمى من يدى المرتجفـة إلـى الوقـوف فـى طـابور مـع تلاميذ فى مثل قامته .. حـاولت اللحـاق بـه .. لكنـه بسـرعة وخوف أعادنى إلى مكـان يقـف فيـه أطفـال فـى مثـل قـامتى القصيرة .. قال لى إنه الصـف الأول .. حـاولت اللحـاق بـه من جديد، لكـن الصـوت المرعـب للمعلـم الـذى كـان يمسـك بالخيزرانـة، وتوسـط السـاحة تمامـا حـال دون تفكيرى فـــى الذهاب ناحيتـه، مخافـة أن يلسـعنى بعصاتـه الطويلـة، أو أن يأمر الفراش باحتضانى وجلد مؤخرتى فى أول يوم آتى فيـه إلى هذه المدرسة المرعبة .. توقفت غارقا فى المكـان الـذى حدده أخى لى من قبل، وبكائى العاصـف مـازال يلفت نظـر

الجميع، وقد عقدت العزم على عدم المجيء إلى المدرسة مرة أخرى، إذا ما نجانى الله منها، وكتب لى عمرا جديدا، ووصلت إلى بيتنا، وحضن أمى بسلام دون أن يقتلنى الأستاذ فرغلى.

انتبهت إلى أحد المعلمين يقترب منى مبتسما، نظرت بوجل إلى يديه وجدتهما نظيفتين من أى عصى .. اقترب منى أكثر وهو يبتسم بحنان وعطف .. لم أفزع منه وهو يمد كفه المبسوطة إلى شعر رأسى يتحسسه برفق .. ارتحت أكثر وخفَّ توترى عندما انحدرت أصابعه الحانية إلى كتفى وظهرى وراح يهدهد علىَّ بلين قائلا بحب حقيقى : ((لقد صرت رجلا كبيرا الآن، والتحقت بالمدرسة.. الرجال لا يبكون .. يبدو عليك الأدب والذكاء .. لماذا تبكى ياحبيبى؟!! .. المدرسة جميلة .. وتعطى (شيكولاته) ونلعب فيها بالكرة ..)) وقبل أن ينهى كلامه كان قد أخرج يده الأخرى من جيب سترته، ومد أصابعه لى بقطعة (شيكولاته) فى غلاف أحمر لامع جميل .. تمهلت عن مواصلة البكاء بعد أن شدنى اللون الأحمر اللامع لقطعة (الشيكولاته) .. ترددت أول الأمر فى مد يدى إليها .. لكن من التشجيع

المتواصل والحانى من الأستاذ مددت يدى إليها وأخذتها منـه .. لم أشأ أن أفض غلافها فـى الحـال، فكرت فـى الاحتفـاظ بها، حتى أعود بها إلى أمى وأبـى وأختـى الصغيرة رغدة، فكرت فـى الزعم بـأننى شـاطر، وأن الأسـتاذ أعطـانى هذه (الشيكولاتة) مكافأة منه .. قبل أن أستمر فى التفكير فى بقية القصة التى سأزعم بها وأدعيها، اصطحبنى الأسـتاذ، ومعـى بقيـة الأولاد الجدد مثلـى بعيدا عـن المكـان الـذى يقف فيـه طابور الكبار والأستاذ فرغلى، وذهبنـا إلـى آخـر السـاحة .. جعل يخرج من جيوبـه العديد قطـع (الشـيكولاتة)، ويعطيهـا لمـن يقـول عـن اسمه وعـن عدد إخوتـه وأخـذ يسـألنا بــود وعطف عن أشياء بسيطة وسـهلة .. وأعطـانى قطعـا جديـدة من (الشيكولاتة) وقررت أن أقسـمها بينـى وبيـن مامـا وبابـا وأختى رغدة، التى تحب (الشيكولاتة) أكثر منى، ولـم يكتـف الأسـتاذ بهـذا، بـل أخـرج لنـا مـن جيبــه أيضــا العديـد مــن البالونات الملونة، وأخذ ينفخها، ويربط فوهتهـا، ويطلقهـا لنـا فى الهواء طالبا منا الركـض خلفهـا والإمسـاك بهـا .. أخذنـا نتسابق خلفها متنافسين بجدية كرجال كبار، وراقنى جدا وجه المعلم الباسم عندما راح يقهقه مـن كـل قلبـه، وتـذكـرت أبـى

حينما يلاعبنى فى البيت .. أحسست بحب جارف ناحية هذا الأستاذ بقدر كراهيتى وخوفى من الأستاذ فرغلى .. بدأت أقترب منه أكثر وأكثر، وأدفع إليه بالبالونة بمرح ويردها إلىَّ مرة ثانية ضاحكا بحنان أبوى ..

فى نهاية اليوم الدراسى الأول، كنت قد قررت أن أواصل مجيئى إلى المدرسة ((لن أتخلف عنها يوما واحدا .. سأستيقظ مبكرا .. سأصحو قبل أن يصحو أخى فهمى .. سآتى قبله إلى هنا كى ألعب مع أستاذى هذا)) .. اقتربت منه أكثر فنظر إلىَّ بفيض من سعادة تراق من عينيه على وجنتيه، وسألنى بحنان بعد أن عرف اسمى ((ما رأيك يا وليد هل المدرسة جميلة؟ وستأتى كل يوم؟)).

أجبته بعزم وصدق وأنا أتعلق بأصابعه كأبى ((بالطبع يا أستاذ .. لكن ما اسم حضرتك؟ .. لكى أحكى لماما وبابا عنك؟)).

أجاب الأستاذ بحنان غير عادى : ((أنا الأستاذ فرغلى..)).





مشكلتها الكبرى أنها تعانى من حالة مزمنة، استعصت عليها، حاولت بدلا من المرة أكثر من ألف مرة، لكنها فشلت، ومن جديد تعود بنفس الجرح وبكم هائل، من مشاعر الحسرة والندم والسخط والثورة، لم تكن قادرة على توجيه ثورتها العاصفة إلى ناحية محددة بالضبط، هى ثائرة .. لكنها مصابة بعطب متعمد فى بوصلة تفكيرها، الثورة تجتاحها .. تجتاح مشاعرها .. تجتاح كيانها وجسدها .. تجتاح ذكرياتها المنصرمة .. تجتاح مستقبلها الغائم .. لكنها لا تعرف على من تصب غضبها ونقمتها وكراهيتها ودماء قلبها، أعلى من خان حبها وثقتها؟ .. أعلى من رباها على الثقة وحسن الظن فى الآخرين؟ .. ربما لو لقنها أهلها منذ الصغر مبادىء الحذر وسوء الظن فى الآخرين لكان خيرا لها وأسلم .. بالتأكيد كان سيعصمها من انزلاقها المتوالى فى حفرة حب كاذب بعد حفرة أكثر كذبا ..

لكنها شبه متأكدة إلى حد الجزم أن مشكلتها الكبرى وحالتها المستعصية هى طيبة قلبها، كثيرا ما واجهت المرآة فى حجرتها منفردة بشكلها المعكوس .. كثيرا ما صرخت فيه مؤنبة وموبخة .. ((لماذا أنت قلبى؟!!) .. لكنها سرعان ما ترتد عن تأنيبها له .. تتلمس له الأعذار .. تتذكر الساعات الهانئة الحنون الناعمة التى وفرها لها كلما استطاع .. حقيقة هو لا يتأخر عن دفع مشاعر السعادة وأحاسيس المتعة والارتياح فى كل مجارى الدم فى كيانها الذى ينتصب ناهضا على حافة خمس وثلاثين سنة قضى الجزء الأكبر منه فى معاناة غدر الأحباب.. من كانوا أحبابا.. من تظاهروا لها بالحب وتفانوا فى تمثيل العشق، ثم يسقط ستار إثر ستار، لترى بعينى الحقيقة القاسية .. لا حب!! .. لا إخلاص!!.. لا أمان!! ..

عقب كل جرح تتفق مع قلبها وتعقد معه عهدا وميثاقا مغلظا ومشددا على عدم الثقة فى أى مخلوق بشرى مرة ثانية .. يقسمان معا وبكل الإخلاص بألا خفقات بالحب لأحد .. لن يكون هناك غير الكراهية وجرح الآخرين بنظرات حادة وذابحة من الشك والازدراء والاتهام بالزيف

والكذب ((يجب أن نقى أنفسنا من مصيبة السقوط فى حفرة جديدة من حفر الخداع باسم الحب..)) هكذا كانت تصرخ فى قلبها الطيب محذرة ومنبهة له حتى لا تلدغ من نفس الجحر للمرة الألف، وتهدأ وتشعر بشىء عظيم من الطمأنينة والسكينة عندما تأنس إلى هذا القلب الطيب من جديد، تحس به كقطة هادئة وديعة رقيقة مطيعة تسكن فى صدرها دون إزعاج، تفيض سعادتها عندما يخيل لها أن القلب نفسه قد كبر وعقل، وصار مدركا يقظا .. صار يميز بين الأخيار والأشرار من البشر .. تسارع باحتضانه بعمق وحب شديدين .. تحتضن صدرها البارز بذراعيها وتتحرك حركات راقصة رشيقة حول نفسها فى غرفتها الموصدة ..((من اليوم .. بل من الآن .. أيها القلب الطيب سنكون حذرين من كل الناس .. سنحذر من الصديقات اللواتى يتقربن منا، ويتظاهرن بالحب لنا والإخلاص .. ثم نكتشف بعد أن تحبهن وتضحى بالكثير من أجلهن، أنهن خادعات كاذبات .. كان تقربهن إلينا من أجل مصلحة. بل لم يكتفين بهذا – فلا بد أن يوقعننا فى ورطة ويسببن لنا الكثير من المشاكل والآلام ثم يدرن ظهورهن لنا فى اليوم التالى كأننا

لم نكن صديقات وتتكشف كل منا أسرار الأخرى!!.. أما هذا الصنف من البشر الذى يتحسس شاربه كلما أعجب بامرأة .. هذا الصنف، الذى يوارى غلظتـه وخشونة مشاعرها بحلق ذقنه بالموسى الحاد يوميا .. هذا الصنف الذى يتستر بنعومة جلد وجهه ليستر عـن أعيننـا أشـواك أحاسيسـه الداميـة .. لا يجب أن نصدقه مرة أخرى .. يجب أن نغلق فى وجهه كل الأبـواب .. لـن نـترك نـافذة واحدة مفتوحــة .. سنسـد كـل الثغرات وكل الفروج مهما كانت ضيقة .. هذا النوع الجبـار القادر على إنفاذ أشعة عيونه الحادة إلى أعمــاق صدورنـا .. لن نسمح له أن يجرحنا بقسوة من جديد .. أتتفق معـى أيهـا القلب الطيب؟ .. أعتقد أن التجـارب المـرة التـى مررنـا بهـا من قبل، معهم أمست كافية تمامـا لـك تثقلك وتزيدك حكمـة وترويا .. أليس كذلك؟ ..))، وتوهمـت أن قلبهـا يجيبهـا مـن أعمـاق صدرهـا بالموافقـة .. عـاودت الرقـص المنفـرد مــن جديد .. كانت تشعر بأنها حققت انتصـارا رائعـا .. سـتتمكن بعد الآن من الاستمتاع بحياتها دون هموم أو جراح .. داخل حجرتها هى فى أمان .. إنها الحصن الذى يحيمها ويقيها من رماح الكلمات وسهام النظرات والعيون. إنها القوقعة الأمينة.

فكرت أن تأخذ إجازة من عملها في الشركة لمدة شهر .. لن تقضيه خارج البيت .. لن تذهب إلى مكان بعيد أو إلى الشاطيء.. ستسافر إلى أعماقها فقط .. ستقضى شهرا كاملا فى غرفتها المغلقة مع قلبها فى هدوء واسترخاء .. لن يخدش إحساسها المرهف كلمة جافة .. لن تضطر إلى مواجهة زميلاتها الزائفات الخائنات .. لن تكون مضطرة إلى مواجهة من كان زوجها لمدة عشر سنوات .. هذا الذى قطف من بستان عمرها أحلى وألذ ثمرات شبابها الباكر، عندما سحرها بنظرات عينيه منذ اليوم الأول الذى تسلمت فيه عملها كموظفة حسابات تحت التمرين ((وتقرب منى كما تمنيت! ..تزوجنى دون إبطاء، كما حلمت!، وعشقته وعشقت حياتنا الزوجية بكل خلية من خلايا جسدى المنصهر بحرارة كلماته وأنغامه، أخلصت له أكثر بملايين المرات من إخلاص أمنا حواء لأبينا آدم .. لم يكن من حولى رجال غيره، لم تقع عيناى فى كل العالم على كائن حى غيره هو .. مفيد .. كنت أدلله ليل نهار .. لم يكن يسمع منى غير : بيبى فادى .. قبل أن يعلن عن رغبته فى تحقيق شىء .. كنت أسابق الريح وأحققه وأضعه بين يديه .. لم أتأخر فى

عمل أى شىء فى استطاعتى أن أفعله له .. إلا هذا الشىء الذى عجزت عن تحقيقه له .. إنجاب الأطفال .. حاولت .. لم أترك وسيلة تلجأ إليها النساء للمساعدة على الإنجاب دون أن أفعلها .. الأطباء .. الوصفات البلدية .. العمل والسحر والشعوذة .. لم أتورع عن عمل أشياء سخيفة لا تناسب زوجة متعلمة مثلى .. لكننى بدافع من حبى واخلاصى الخرافى لبيبى فادى ورغبتى الفائقة فى الاحتفاظ به .. فعلتها!! .. ومع ذلك لم يشأ القدر أن يكتب لى الإنجاب .. فى نهاية العشر سنوات من عشرتى المخلصة أهمل وجودى تماما!! .. عاملنى كحقيبة زائدة عن الوزن!! .. ألقى بى فى عتمة فراغ الوحدة الفاتك .. تزوج من موظفة معى فى نفس الشركة .. اتفق معها أن يطلقنى حالما تأتى له بالطفل .. يبدو أنها كانت متعجلة لطردى نهائيا من حياتهما .. فى نهاية الشهر السابع من زواجها أنجبت الطفل، وفى نفس اليوم أرسل لى ورقة الطلاق هديته لها بمناسبة المولود الجديد!! ..)).

لم تتمكن من متابعة جرحها الأول، الذى فتقته بشكل دموى من خلال النبش فيه بسكاكين ذكرياتها..اختنقت

إلى حد الغمة بدموعها .. تراخت أعصابها وانهارت فوق سريرها كأنها تعيش لتوها حالة الظلم والجحود التى أغرقتها فى ظلماتها العميقة زوجها الذى صار الآن مديرا عاما للشركة، يتباهى بمناسبة وبدون مناسبة بجمال أطفاله الثلاثة وذكائهم .. لم يعد له من حديث مع الموظفين غير حركاتهم وسكناتهم ولعبهم اللذيذ، فى خمس سنوات من زواجه وطلاقى أنجب ثلاثة أولاد .. همست لى بعض الزميلات عن تحسره عن الفترة التى صبرها معى .. لو أنه تزوج منذ عشر سنوات بامرأة أخرى غيرى لكان أولاده الآن فى التعليم الثانوى .. يتهمنى بأننى السبب فى ضياع نسله خلال السنوات الماضية!!.. كما لو كنت أنا صاحبة القدرة على هذا وليس ربى!! .. بدلا من أن يتذكر حبى له وإخلاصى له خلال عشرتنا الهانئة .. يلعن ذلك الحب! .. يسخر من الإخلاص!! .. بالرغم من أن زوجته الجديدة تعامله معاملة قاسية خالية من الاحترام حتى فى حضور الناس .. كما همست لى بذلك إحدى الزميلات .. إلا أنه يعلن السعادة ويتظاهر بها .. ها هم الرجال دائما!!..)).

ومع ذلك لم تراجع نفسها .. لم تتأن وتترو عندما رق قلبها الطيب لكلمات حلوة معسولة لامست شغاف القلب من بين شفتى رجل فى الخمسين، اقترب منها بعد طلاقها من زوجها الأول بعام واحد .. أقنعها ببساطة أنها لم تخلق لأحد غيره فى كل هذا الكون الواسع .. وبالرغم من مصارحته له بأنه متزوج وله أربعة أولاد من زوجته التى يعيش معها فى جحيم الكراهية .. وأنه اختارها هى بالذات لأنه كان يحلم بزوجة لا تنجب له أطفالا، وتوسل إليها أن ترق لحالته وتنتشله من حالة الجحيم التى يكتوى بنارها من حياته مع زوجته الكريهة، مؤكدا لها أنه على استعداد لطلاقها فورا لو طلبت منه ذلك .. ولأنها طيبة القلب لم تشأ أن تبنى سعادتها على تعاسة امرأة أخرى .. رضيت به .. أقنعت نفسها أو أقنعها قلبها أن زواجها من هذا الرجل، الموظف المحترم فى وزارة الصحة سيرد إليها كرامتها واعتبارها فى عيون زوجها السابق وزميلاتها اللواتى أصبحت يغرن منها على أزواجهن، ويتحاشين تقوية علاقات الصداقة معها، مخافة أن تزورهن فى بيتهن وتنتزع الأزواج فهم فى النهاية مازالوا أطفالا كبارا، يولعون بكل لعبة جديدة

وغريبة .. وهـى لـم تـزل محتفظـة بجمالهـا وتماسـك لحمهـا الذى لم يرهله الحمـل والميـلاد .. لـذا لـم تتوقـف كثيرا فـى مواجهة رقة قلبها لهذا الرجل، الذى يتفجر بالصحة والعافيـة وتفيض وجنتاه بلمعان الحيوية والشباب غير الطبيعى بالنسبة لمن فى مثل عمره .. تزوجته .. فى أول ليلة زواج قال لهـا فيما يشبه الخجل : ((سنعيش معا فـى حجـرة النـوم المريحـة هذه كشقيقين)).

ضحكت ليلتها من أعماق قلبها وضحك قلبهـا معهـا .. هنأت نفسها بهذا الزوج المرح .. يجيد النكتة فى أول ليلة .. تركها تضحك وغرق فى سبات عميق .. دهشـت لقدرتـه الهائلة على استحضار النوم فى ثانيـة واحدة .. عـم شـخيره الحجرة ولـم يـترك فراغـا فيهـا دون أن يلـوث صمتـه .. لـم تفزع ولم تحزن .. همس إليها قلبها مرتاحـا مطمئنـا : ((لـك أن تشـعرى بالأمـان فـى ظـل أنفـاس رجـل .. حتـى شـخيره يبعث على الإحساس بالأمن الذى افتقدته منذ أن تركـك مفيـد وحيدة بين الجـدران يرعبـك مـواء قطـة أو عـواء كلـب فـى أجواز الليالى المقفرة .. الآن يمكنك النوم الهادىء فى ظلال

هذا الشخير الرجولى الذى يخيف كل من تسول له نفسه الاقتراب من مسكنك ..)).

استمعت لكلام قلبها الطيب ونامت بعد أن توسدت يدها واشتمل بشخيره المنتظم المرتب كأنه قد مرَّسه على النظام وعدم النشاز .. نامت شبه سعيدة .. منت نفسها أن يبدأ زواجها من الغد .. فهى لم تزل متأكدة بأن زوجها كان يمزح معها ويداعبها بثقة الراجل الواثق من فحولته التى تنطلق بها بشرة وجهه اللامعة .. لكن بعد مرور أكثر من غد .. بعد أن تراكمت الأيام فوق صدرها وتجاوز الشهر بعد الشهر!!.. أصيبت بإحباط واكتئاب عندما تأكدت أنه لم يكن مازحا بكلماته ليلة الزفاف!!.. كان فى قمة صدقه!!.. لم يقترب منها!! .. كان يتحاشى تلميحاتها المشبعة بالحياء أولا، ثم تصريحاتها المتوارية بالخجل بعد أن فاض بها .. صعقت عندما أدركت أن هذا الرجل قد لعب بها وخدعها .. أدركت أنه تزوج منها ليجد سكنا يبيت فيه بعد أن طردته زوجته وأم أولاده عندما تأكدت تماما أن تاريخ صلاحيته كزوج وكرجل قد انتهتْ منذ سنتين.. الغبى اعتقد أن المرأة التى لا تنجب هى بمثابة بركان خامد إلى الأبد!! .. المغفل

لا يعرف أن المرأة التى لم تنجب تكون بركانا فى قمة ثورته!! ..

تحاملت على نفسها .. خافت أن تطلب منه الطلاق ولم يمض على زواجها منه غير هذه المدة المحدودة فيشمت فيها الجميع .. مفيد .. زميلاتها .. تحاملت .. تجرعت المر والحزن .. غضبت من قلبها الذى خدعها بطيبته .. لكنها تحملت .. حتى اليوم الذى طلب منها أن تخرج إلى النزهة بمفردها .. وأوضح لها أنه لن يقلق عليها إذا تأخرت .. لم تحاول أن تتسرع، وتقع فى سوء الظن، وتسيء فهم ما يقصده من وراء هذه الحرية المطلقة التى يمنحها زوج لزوجته على غير العادة ((لقد كان مفيد يجن إذا تأخرت عن البيت دقيقة واحدة..!!)) .. لذا طرحت عليه سؤالا لا يحتمل إجابتين : ((ولماذا هذا التسامح الزائد؟!!)) .. أجابها ببساطة ودون أن يهتز له جفن : ((أنا رجل لا أحب الظلم .. من حقك أن تصادقى رجلا آخر .....))

لم تع بالضبط ما الذى سيطر عليها إثر طعنها بكلماته الجبانة البذيئة .. اجتاحتها تيارات عنيفة وعواصف هوجاء من الاشمئزاز والاحتقار والازدراء . ضلت طريقها

بين أفكارها المتصارعة ((.. أيمكن أن يكون هذا رجلا حقيقيا يتدفق فى عروقه دم يشبه دماء الرجال؟!! .. ماذا يظن بى هذا الكلب؟!! .. أيعتقد أنه تزوج من عاهرة؟!!.. أيحسب أننى تزوجته ووافقت على الاقتران به لكى يكون بمثابة ستار قذر أمارس من خلف ظهره ما يغضب ربى ويسىء إلى كرامتى وشرفى؟!! ...)).

لم تتوقف عواصفها إلا بعد أن بصقت فى وجهه اللامع كوجه امرأة .. حملت حقيبة ملابسه وألقت بها من النافذة إلى الطريق .. أخذت تدفع جسده بكل قوتها وقد سيطرت عليها نوبة عصبية .. كانت تصرخ كالمجنونة .. خرج مذعورا مرعوبا من بين يديها .. لم ترتح إلا بعد أن أرسل إليها ورقة طلاقها خلال يومين، بعد أن هددته بالفضيحة فى محل عمله، وقررت أن ترفع قضية فى المحكمة لعدم صلاحيته كزوج .. خاف وطلقها .. وعادت من جديد بقلب طيب جريح .. إنها مشكلتها المستعصية .. لو أن الأطباء يتوصلون إلى عملية جراحية يستبدلون فيها القلوب الطيبة بقلوب خبيثة، لكانت أول من تجرى هذه العملية .. لعلها ترتاح من طيبة قلبها الذى يقحمها ببلاهة فى

مأزق بعد آخر ..لكنها الآن أخذت على نفسها وقلبها عهدا بالتخلص من الطيبة والثقة الزائدة فى الآخرين .. لن تسمح لقلبها أن يرق لمخلوق آخر .. ستعادى الجميع .. سترتدى ثياب الكبر والغطرسة حتى لا يقترب منها أحد مرة أخرى ويستغل سذاجتها وطيبة قلبها، غدا ستذهب إلى الشركة وتحصل على الأجازة السنوية .. لن تكتفى بأسبوع .. ستحصل على شهر .. ستقاطع الناس وما فيهم من شر وخداع و ...

تسمر تفكيرها وتلكأت ثورتها على العالم عندما فاجأها رنين جرس الشقة .. أسرعت إلى الباب بعد أن ألقت بوجهها إلى المرآة من جديد، ومسحت بقايا دموعها التى لم تجف ...

كانت عينا مفيد هى التى صافحتها بحب واضح واعتذار عندما انفرج باب شقتها .. تماسكت .. تذكرت عهدها وميثاقها مع قلبها على معاملة العالم بنظرات مليئة الصدود، مفعمة بالكراهية، تعيش بالتعالى والسخط .. لم يخزلها قلبها هذه المرة .. تماسك هو الآخر لم يرق للأشعة الحانية التى كانت تنهمر من عينى مفيد.. أشاح القلب بوجهه

بعيدا عنها ورد عليها باستهجان وسخرية .. تماما مثلما فعلت مع مفيد حينما رمت بعينيها بعيدا عنه وضيقت من فرجة الباب مانعة له من الدخول، بتحد وسخرية : ((ماذا تريد منى يا سيادة المدير العام؟)).

لم يجب مفيد فى الحال عن سؤالها .. أخذ يتأمل وجهها الذى حرم منه طويلا .. انزعجت عندما أحجم عن الرد بكلمة .. طالعت وجهه الذى تهرب منه .. هزها منظر الدموع التى تتدفق من عينيه الجميلتين فى صمت .. لأول مرة فى حياتها ترى مفيدا يبكى كطفل .. لامست قلبها رعشة طارئة وعاجلة .. لكنها تصدت أكثر، وكررت سؤالها بنبرة أكثر جفاء : ((حتى الآن لم أعرف بالضبط ما الذى جاء بك يا سيادة المدير العام؟)).

بصوت متحشرج يتضرع الندم والتوسل، قال : ((هل تسمحين لى بدخول جنتك مرة أخرى .. وتنقذينى من جحيم زوجتى الشرسة؟ .. أنا مستعد لكل شروطك .. ومهما فعلت لك فلن أتمكن من التكفير عن ذنبى بحقك .. هل تسمحين لى بأن نعود كما كنا أسعد زوجين فى العالم؟..)).



انتفض جسدها بكامله وهى تسمع منه هذه الكلمات غير مصدقة كأنها فى حلم .. لم تتوقع أن يحدث ذلك أبدا .. لقد تسرب إليها عبر زميلاتها اللواتى زرنه فى بيته عن المعاملة القاسية التى تتعامل بها زوجته المدللة التى أنجبت له الأولاد .. لكن السعادة التى كان يظهر بها فى حضور الجميع معجبا بأولاده تجعلها تستبعد من خيالها مجرد التفكير أو الظن أن يحدث مثل الذى يحدث أمامها الآن!! ((..مفيد!! .. زوجى السابق .. الرجل بمعنى الكلمة .. المدير العام فى الشركة .. يأتى الآن .. ليقف بباب شقتى التى هرب منها منذ خمس سنوات جريا وراء زوجة أخرى بحجة الرغبة فى الإنجاب !! .. مفيد يقف باكيا ذليلا كطفل مخطىء خطأ فاحشا ويستسمح أبويه؟ !!..)).

أرادت أن تواصل تماسكها ونضالها ضد مشاعر التعاطف التى ضربتها .. لكنه لم يصدق فى عهده .. فوجئت بقلبها الطيب يتملص من وعوده السابقة لها، وتسيطر عليه ارتعاشات متواصلة.. أرادت أن تعتمد عليه فى وقت الشدة لكى تكمل تقمص شخصية المرأة الحازمة الصلبة.. لكنه سيظل قلبا طفلا لا كلمة ولا عهدا ولا ميثاقا يحافظ

عليه.. وجدت نفسها تتراخى فى مواجهته .. بتلقائية وسعت يدها من فرجة الباب إيذانا له بالدخول.. ولم تنتظر شفتاها حتى يدخل .. بل هتفت فى الحال برنة تأثر وشفقة واضحة: ((أرجوك يامفيد .. لا تبك .. أنت رجل حقيقى .. الرجال لا يبكون !!..)).

❖ ❖ ❖ ❖

* نشرت بمجلة (المنتدى) – يونيو ١٩٩٥.

الذى انتحل جسد نملة

استشعر عمق وجسامة الإهانة، عندما صفعته زوجته بكلمات حادة مزدرية، بحضور أولادهما المراهقين بحجم البغال .. صرخت فيه بملء شدقيها المدملجين وصدرها الطافح بالشهوة المكبوتة ((أنت زوج لا تنفع ولا تشفع!!)) .

تدفق الغضب العنيف فى جميع مجارى الدم بجسده الهائل .. تقمص لون إشارة المرور الصفراء .. أعلن ظاهره عن حالة استعداد وتحفز قصوى للانقضاض على شريكة عمره الجاحدة . تلقت الشفرة بسخرية .. لم تمهله .. استحالت إلى ابتسامة وعيد حمراء بلون الخطر .. متوهجة بلون الشبق الذى يعتصر كيانها بلا طائل .. أمطرته بوابل بعد وابل من نظرات الاستخفاف والاحتقار .. يبدو أنه لم يكن مدرعا بشكل جيد .. فقد استشعر فى الحال انهيارا عاما فى جسده، وخزيا فادحا فى مواطن اللذة .. لم يتمكن من مواصلة عنتريته التى لوح بها .. راح يتداعى ويتحول إلى

مجرد راية استسلام بيضاء فوق باب قلعته ..

تزلف لها بسيل من ابتسامات الاستجداء، سالت من بين شفتين متقلصتين مرتعشتين .. تلتهـا وغشيتها ابتسـامات تائهة غائمة .. رعدت ضحكـات وقهقهـات واعيـة انفجـرت عن صدور أبنائه .. اصطدمت برأسه مباشرة .. أوشكت أن تفقده توازنه .. تماسك .. استطال عنق الزوجـة .. فـردت متعمدة كل صدرها متباهية بفخامـة نهديهـا فـى لحظـة عنـاد وتحد لنظـرات العجـز والكسـاح التـى فـاضت بهمـا عينـاه الدامعتان ..

لم يشأ أن يطيل ضحكات من كانوا أبناءه .. تراجع إلى الخلف .. لم ينكص على عقبيه .. ظـل يـتراجع بنعومـة .. كانحسار ظلال الأشـياء وقـت الظهيرة .. ابتلعتـه حجـرة نومه عبر بابهـا المفتـوح .. أسـرع بغلـق بابهـا الضخـم فـى وجوههم .. لم يدر لماذا أغلقه فى الحال؟!! .. أليحـول دون وصـول ضحكـاتهم الناريـة إلـى أرق مشـاعره؟!! .. أليضـع سـدا منيعـا بيـن بركـان شـهوتها المندفـع مـن عينيهـا، وبقايـا رجولته الخامدة؟!! .. ألينسى كل ماحصل ويتفـرغ لممارسـة هوايتـه التـى راح يشغل نفسه بها؟! .. هواية متابعة طوابير

النمل التى تحمل دقائق الفتات صـاعدة بهـا بصـبر وإصـرار إلى الشق العرضى فى أعلى جدار حجـرة نومـه .. لـم تكـن ضحكاتهم قد اضمحلت بعـد عندمـا التصقت نظراتـه المبتلـة بطابور طويل ومتصل من النمـل الصغير الأحمـر .. شـرع يتأمله بعمق وانبهـار .. حـدث نفسـه ((لابـد لمـن يعيش مـع أسرتى من صبر النمل!!.. ليتنى كنت نملــه ..!! .. لمـاذا لا أتعلـم منـه الصـبر وطـول النفـس فـى التعـامل مـع زوجتـى وأولادى؟!! .. ربمـا تمكنـت فـى نهايـة الأمـر مـن احتـلال مكانى السابق على قمة أسرتى!)) .

اسـتكان للحظـات إلــى أمنيتـه فانتعشـت مشـاعر الانتصار الراكدة لديه منذ فترة .. لكن ما أن بـرق فـى أفـق نفسه سعار نظرات زوجته المحرومة من رجولته التى كانت .. حتى خالطه من جديد ألم الانكسار .. واجه نفسه بالحقيقـة ((ليس الصبر هو المطلوب .. لابد أن أكون نهرا شهيا عذبـا يطفىء كل حرائق جسدها .. لقد جربت كل شىء ولم أتحول إلـى نهـر متدفـق .. منـذ أن جفـت ينـابيعى هجرنــى حبهـا واحترامها ..لم أترك طبيبا .. لم أترك عطـارا .. لـم أتـرك وصفات الأصدقـاء والأعـداء .. المـرأة تنـذرنـى .. تختلس

النظرات للرجال الآخرين .. تتلمظ لصدورهم العريضة وسيقانهم المنفرجة .. لقد صرت بالنسبة لها عائقا على طريق أنوثتها .. رددتها أكثر من مرة .. كأنها كانت تصب فى مسامعى رصاصا منصهرا .. نسيت أيام كان الزمان زمانى .. تنكرت لأوقات كانت تستجير فيها بالخالق من عنف فحولتى .. لم يعد أمامى غير التفكير فى طلاقها .. لكن كيف أتقبل وضعى المهزوم بقية العمر؟!! .. كيف أمنحها الفرصة لتجعل منى أضحوكة وسخرية وهى تتمرغ فى أحضان شهوة رجل آخر يتزوج حرارة أعوامها الخمسة والثلاثين؟!! .. إن الموت أكثر رحمة من أن يتم هذا، وأنا أملأ رئتى بالشهيق .. لماذا لم أفكر فى الموت حتى الآن؟!!)) .

توقف طويلا أمام الفكرة الأخيرة .. عاد لمتابعة النمل .. جذبه هذا النشاط الذى يتمتع به النمل فى سعيه بلا هوادة من أسفل إلى أعلى، والهبوط مرة ثانية .. دون كلل!!.. دون كسل!!.. يمارس عمله بلذة ومتعة!! .. نشاطه يشبه نشاط النحل .. نصحه البعض بغذاء ملكات النحل .. بالرغم من ثمنه الباهظ اشتراه ولم يحقق معه نفعا! .. تأمل

بإعجاب هذه القبلات المتبادلة بين نملـة وأخرى .. استشعر همسا جنسيا لاهبا وراء قبلات النمل المتواصلة .. تقدم إلى طابور النمل الذى يسبح فوق الجدار .. مد يده تجاهه .. بأطراف أنامله تمكن من الإمساك بواحدة كانت تقبل الأخرى .. قربها من فمه همس إليها بحسد : ((يا لك من محظوظة .. عجزت أن أفعل مثلك؟!! .. ألن تكلمينى وتبوحى لى بسر نشاطك الجنسى المتأجج؟!! .. ألا تكشفين لى عن مواطن السعار الجنسى فى أجسادكم الدقيقة؟!!)) .

استمع إليها للحظات .. لم يسمع منها شيئا يريحه .. هاجمته فكرة غريبة .. لماذا ينتظرها حتى تخبره عن سرها؟! .. لماذا لا يبتلعها كلها؟!! .. فربما عثرت معدته على المادة التى يختزنها النمل وتساعد فى تأجيج رجولته من جديد .. لو كان بها سم قاتل سيريحه من هذه الدنيا التى هجرته بالرغم من بقائه حيا..

لم يتلكأ .. وضعها على طرف لسانه .. ضغط عليها بنابيه .. لم يكتف بواحدة .. التقط الثانية .. لم تسعفه أنامله .. مد لسانه إلى الجدار .. اقترب إلى الطابور .. استحال إلى حيوان آكل النمل .. طفق يلعق الجدار .. يلتهم

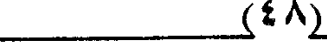
النمل .. خامرته فكرة سكنت في اللاشعور ((ماذا لو أدى هذا إلى أن أصير نملة كبيرة؟!!)) رحب بالفكرة .. لم يفزع منها ..تمناها بعمق وحده.. واصل مطاردة ماتبقى من النمل المذعور المبعثر فوق الجدار عقب إحساسه بالكارثة التى داهمته .. لم يبق على نملة واحدة .. بل تملكه شعور قوى بضرورة الوصول إلى النمل المختبىء فى الجحور .. لاحقها .. لم يترك نملة فى الحجرة .. لم يزل يشعر برغبة هستيرية فى التهام الكثير والكثير من النمل .. لقد عقد العزم على العودة إلى سابق عنفوانه الرجولى، ودون ذلك الموت.. أحس بطاقة هائلة تزلزل كيانه .. كانت الطاقة تتنامى وتنتشر بين أعطاف جسده وتلهب ظهره .. اقترب من المرآة.. نظر فيها .. لم يفاجأ بوجهه الذى استحال إلى وجه نملة كبيرة .. لم يفزعه جسده الذى تشكل نملة كبيرة حمراء.. شعر بغبطة تشظت فى أنحاء جسده الفائر .. همس إلى نفسه بابتهاج ((كل ماتمنيته قد تحقق .. هكذا صرت نملة .. الآن أستطيع أن أطفىء لهيب عشر نساء فى حجم شهوة زوجتى .. الآن يمكننى أن أسترد مكانى فوق قمة أسرتى..)).

ما أن انفرج الباب وتقدم نحوهـم بثقـة رجـل فحـل، حتى صرخ الجميع .. لم يسبق لأى منهم أن رأى فى حياتـه نملة كبيرة فـى حجـم رجـل تبتسم لهـم .. أبنـاؤه المراهقـون ألقوا بأجسادهم الضخمة من نوافذ مسكنهم بالطابق الخامس.. سـمع ارتطـام أجسـادهم وتكسـر عظـامهم بحجـارة الطريـق وصراخ المارة . لكنه لم يعبأ بمن ضحكوا عليه مـن قبـل .. اتخذ طريقا مستقيما نحو زوجته التى قبعت فى مكانها جـامدة مذعورة .. لم يتمكن عقلها المتوقف ولا تفكيرها المشلول أن يستنتج أن هذا الوحش الذى يقترب منهـا هـو زوجهـا الـذى هزمتـه منـذ دقـائق قـد عـاد الآن لينتصـر عليهـا .. ليهزمهـا هزيمة ساحقة .. صرعها صوت يخرج من فم النملة الكبيرة كأنه الفحيح ((لا تفزعى منـى يـا زوجتـى الحبيبـة .. هـا أنـا زوجك قد عدت إليك فارسا لكى أمتطى شهوة مهرتى البريـة المشاكسة .. لا تخافى منى .. لقد عـدت نهـرا متدفقـا حتـى الفيضان .. جئت لأطفىء كل حرائق جسدك الثائر..)).

لم يهتم بحالة الهلع التـى حفـرت أخاديدهـا فـى كـل ملامح وجهها . لم يلق بـالا ليديهـا الضـارعتين المرتعشـتين توسلت فى صمت أن يبتعد عنها .. أمسك بها .. لم تكن يداه

تقبضان على لحم زوجته الدافىء بالرغبة .. شعر بأصابعه تمسك بلحم ميت أخرج لتوه من ثلاجة حفظ الموتى .. نظر فى عينيها فلم يعثر على أثر لبريق الشهوة المكبوتة .. فى انطوائها حول نفسها اختفى جمال نهديها .. لم يعد لديها ما تفخر وتتباهى به!! .. لم يعد عندها من النساء مايشجع رجلا فى مثل عنفوانه على معاشرتها!!.. حتى احمرار وجنتيها المكتنزتين استحال إلى اصفرار الموت! .. صرخ فيها ليوقظها من موتها المفاجىء : ((أنت ككل النساء لا تعرفين ماذا يرضيك على وجه التحديد!!)) .. حمل جسدها البارد بين ذراعيه .. ألقى بها من النافذة إلى الطريق .. لم يهتم بالضجيج الذى فاض به الشارع .. انطلق إلى بقية جحور النمل فى بقية المسكن ليلتهم منها المزيد .





كلما ناضل متوغلا بعينيه عبر أستار ليل الحقول الشتوية المعتمة، ترتد عيناه كليلة دون حصاد، يزداد انكماش جسده وتقوسه حول حفرة الحطب المتقد ونيرانها المضمحلة المتقاصرة، يتنهد من جديد ويعاود بسط كفيه فوق صهد النيران التى كانت تنعكس بوهجها على ملامح وجهه المتآكل من شدة حسرته على ما أصابه به الزمان فى ولديه اللذين أفنى عمره البائد انتظارا ليوم حاجته إليهما، وها هو اليوم يحل به، لكنه لا يجدهما بجواره، لم يعد بجواره بعد رحلة عمره الطويلة غير أمهما العجوز، كأنه كان يخضخض الماء طوال السنوات الثلاثين التى عاشها مع زوجته .. ها هو يعود إلى الدنيا فردا كما دخلها فردا.

استدار بعينيه المنداتين بدموع ممتزجة، بعضها بسبب الحزن، والبعض الآخر بتأثير الدخان اللاسع الذى التصق بعينيه متصاعدا عن عود حطب أخضر، دفسه فى

عمق نيران الحفرة، ومسح مقلتيه المغلقتين ببطـن يديـه، فـى الأفق البعيد تشب أضـواء خافتـة تنبعث عن بيـوت قريتـه كروائح كريهـة، لـم يعد يطيق الإقامـة بهـا والتجـول بيـن حواريهـا الخانقـة، لـم يعد يتحمـل ملامسـة نظـرات الشـفقة والمواساة التى يصفعـه بهـا أهل قريتـه كلمـا داهمـوا عينيـه المحجمتين عن العودة إلى سابق إشراقهما، منـذ أن فقد ابنـه الأكبر كشهيد، ابنه الـذى تمنـى أن يـراه فـى يـوم مـن الأيـام وكيلا للنائب العام أو .. محاميا، مـا أن أنهـى دراسته لكليـة الحقوق حتى اغتصبه منه الجيش، لـم يـترك لـه فسـحة لكـى يخطط مستقبله، عندما أشار عليه البعض بـاللجوء إلـى حيلـة الطلاق الصورى التى انتشرت فى زمن الحرب حتـى ينجـو من الموت المتوقع، أو على الأقل يبنـى مستقبله كمـا يشـاء، بدلا من القيود القاتلة التى سيكبله بها الجيش، فعلها الكثيرون من أبناء القرية، فعلها زميله وصديقه أحمد متولى المحـامى، كـان زميـل دراسـة لابنـه، نصحـه بـأن يلجـأ مثلـه إلـى تلـك الحيلـة، يؤجـل الالتحـاق بـالقوات المسلحة إلـى حيـن يتبيـن الخيط الأبيض من الأسود، فمستقبل القوات المسـلحة مظلـم، والجميع يحيا حياة اللاسلم واللاحرب، لا يعلم غير اللـه متـى

تنشب الحرب المحتومة، وهناك من الشباب من تجاوزت مدة خدمته التسع سنوات دون أن يعرف بالضبط متى سيتم تسريحه من العسكرية، لو أن الخدمة العسكرية كانت بالفعل عاما أو عامين لما لجأ إلى الطلاق الصورى، لكن ..

لم يقتنع ابنه الأكبر بكل الحجج التى قال بها أحمد متولى ((مسكين!! صمم أن يلتحق بالجيش ممنيا نفسه بالانتهاء من عبء الخدمة العسكرية، حتى يتفرغ بعد ذلك تماما لممارسة حياته العملية، سواء فى سلك النيابة كما كان يتوقع، أو فى عالم المحاماة كما كان يحب .. لكن مع الأيام الأولى لحرب ١٩٧٣م اختارته شظية قنبلة .. اختارته هو دون غيره بعد أن اجتاز قناة السويس، اقتحم الحصون العسكرية التى أقامها أولاد صهيون .. صممت الحرب على أن تكوى قلبى بلهيب الحسرة والحرمان فى كل ثانية تبقت لى .. بينما زميله أحمد متولى اغتنم لنفسه الفرصة .. بنى مستقبله .. بعد عامين من انتهاء الحرب واستشهاد ابنى التحق هو بالجيش منهيا الطلاق الصورى .. أنهى خدمته فى عام واحد .. وها هو الآن من أشهر المحامين الشباب فى

المدينة .. اشترى السيارة وتزوج ولديه طفل .. لو أن ابنى فعل مثله لكنت الآن جدا ألعب مع أحفادى .. لكن .. أستغفر الله العظيم .. ألهمنى الصبر يارب ..)).

تضاعف نقيق الضفادع من حوله فجأة، مما جعله يشعر بمزيد من الاضطراب .. انتبه إلى وهج الجمر الخابى فافتقد الإحساس بالطمأنينة، مد يده المرتجفة إلى كومة الحطب الجاف الرابضة كالهموم الداكنة، انتزع منها بعض عيدان الذرة الطويلة، فأحدثت خرفشة متعمدة، جعلها تطغى على أصوات الضفادع، وحشرجة الأوراق الجافة لشجر المانجو كلما لطمتها رياح الشتاء الجامحة بقوة وقسوة، كانت تصدر أصوات سعال يشبه سعال مريض الربو، أسرع بتكسير عيدان الذرة، وأخذ يطعم بها أفواه حفرة الجمر التى تقاعست عن التهامها، كأنها تتحد مع الزمن أيضا لعناده ومضايقته، لذلك انحنى إليها بفمه وطفق ينفخ فيها محرضا الجمرات على احتضان الحطب الجديد وابتلاعه، أخيرا وبعد أن أرهق صدره شبت النيران، تعالت بفيض من لهيب متراقص، عكس وهجه على كل ماحوله فتوقفت الضفادع

عن نقيقها، وعم صمت عظيم فى الفضاء، وهرب الظلام مختبئا خلف النباتات والأشجار متربصا ومتحفزا للحظة تنهار فيها قوة هذه النيران، ويخمد بصيصها، حتى يعاود احتلال المكان، ويحجب المرئيات عن عينيه التى بكت بحرقة مرتين، المرة الأولى عندما علم بنبأ استشهاد ابنه الأكبر (ماهر)، والمرة الثانية عندما حكم على ابنه الآخر بعقوبة الإعدام شنقا، وبعد استشهاد أخيه بعامين فقط، لم يكن يخطر بباله أبدا أن يرزقه الله بولدين يموت أحدهما بشرف فى ساحة الحرب بينما الآخر يجلب لنفسه ولأهله العار مدى الحياة، كيف؟!! .. ولماذا تعامل مع اليهود واتفق على أن يتجسس على بلده لحسابهم؟ !! .. هذا هو الهم الأكبر!! مشنقة العار الأبدية الذى يعتصر نفسه ..((أوقعوه فى شراكهم عندما سافر فى عطلة صيف إلى إحدى الدول الأوربية .. مجرد طالب كسول فى كلية التجارة .. بعكس أخيه الشهيد، كان ينجح عاما ويرسب عاما .. لم نكن نراه إلا فى عطلة نصف العام، والعطلة الصيفية .. يأتى لزيارتنا خلال أيام قلائل .. رفض الدراسة فى جامعة القاهرة والإقامة مع أخيه فى نفس السكن.. صمم على الدراسة فى

جامعة الاسكندرية التى تبعد عنه بأكثر من مـائتى كيلومـترا .. عندما عارضت رغبته فى السفر هددنى بالانتحار .. أمام ضغظ أمه، وصلابة رأسه وافقـت .. لـو كنـت أعلـم أن هـذا السفر سيكون السبب فى تجنيده من قبل مخابرات العـدو مـن خلال فتاة استغلت سذاجته .. بالتأكيد كنت سأتركه ينتحـر .. انتحاره أفضل ألف مرة من إعدامه لخيانته.. أعـدم وتركنـى ممزقا .. لم أعد أعـرف أيحق لـى أن أشـعر بـالفخر لمـوت أخيه الشهيد؟ !! .. أرفع رأسى وأشد من قـامتى متباهيـا؟ !! .. أم أطأطىء رأسى وأنكس عينى إحساسا بالعار الذى جلبه لى سلوكه المشين؟ .. سبحانك يارب .. ألهمنى الصبر ..)).

انحسـرت الأضـواء الغامضـة عـن المكـان بعـد أن تقاصرت ألسنة النيران، وتقزمت حول الجمـر الـذى طفحـت به الحفرة محتميا من بـرودة الجـو التـى وثبـت فـوق المكـان فجأة، مما جعل الحاج أحمد يشد حـول نفسـه العبـاءة الجـوخ الثقيلـة، ويعـاود مـد كفيـه وأصابعـه المفـرودة فـوق حـواف الصهد المنبعث من الجمـر الخـابى، ومـن جديـد يتعـالى فـى أذنيـه نقيـق الضفادع كمـا لـو كان المكان قد رجع إلى ملكيته

مرة أخرى بعـد أن غشيه الظـلام المدلهـم، واشرأبت عينـاه ترقب أضواء قريته البعيدة والتـى تنبعث بكراهيـة كروائـح كريهة تزكم أنفه، شعر بشىء من الراحة عندما لاحظ اختفاء معظم أضواء القرية، لقد تأهب أهلها للنوم، لابد أن الطرقات الضيقة قد شلت فيها الحركـة، لـو عـاد الآن إلـى بيتـه حيث زوجته الوحيدة تقرض أيامها الباقية فلن يقابله أحد، لن يجبر على إلقاء التحية على أحد، أو رد التحية على أحد، لـم يعد يجد فائدة من إلقاء التحية على الناس، أو الـرد عليهـا، حتـى الحياة نفسها لم تعد تقنع، حياة مفعمة بالمتناقضات والأحـزان المتربصـة، الرحـم الواحـد يلفظ الشـهيد الشـريف، وأيضـا الجاسوس الخائن .. ((هما يذهبان ونبقى نحن لتضيع هويتنـا بين الشرف والخيانـة!! .. بيـن الفخـر والعـار!! .. سبحانك يارب ألهمنى الصبر وثبت عقلى وإيمـانى يـارب .. لـم أعد أحتمل .. أشعر بأن بينى وبين الجنون مسافة قصيرة وأسـقط فى الهاوية ..لم أعد قـادرا علـى إصـدار فعل محدد .. هـل أضحـك شـرفا؟ .. أم أبكـى عـارا؟ .. هـل أرفـع هـامتى فخـرا؟..أم أحنـى قامتـى عـارا؟ .. ذهـب الاثنـان وتركانـى

حائرا بين الفعل ونقيضه.. ليتنى مثل زوجتى التى حددت سلوكها فى اتجاه واحد، فسلمت من الحيرة .. إنها تبكيهما معا .. تشعر بفقدهما معا .. حتى خيانة ابنها تبررها بأنه كان مجرد طيش شباب .. هكذا ببساطة شديدة أراحت نفسها .. نجت بنفسها مما أعانى منه ليل نهار .. ما يجعلنى أفضل حياة الوحدة وسط صمت الحقول وحيادية المخلوقات عن التصادم بعيون البشر الهامسة بكلمات تفوح منها آلاف المعانى المتناقضة والمشاعر المتضاربة .. كلها فى النهاية تدفع بى إلى الحيرة والجنون .. ذهبا وتركانى أحصد الرياح .. بعد ثلاثين سنة زواج وتربية أولاد وكفاح ونضال من أجل العائلة .. هكذا أجد نفسى بدون عائلة .. مجرد زوجة محطمة على صخرة فراق ولديها، وأنا مشطور بين إحساسين وفكرتين.. لا .. بل بين العديد من المشاعر والأحاسيس والكثير الكثير من الأفكار.. سبحانك يارب لك فى ذلك حكم .. ألهمنى العقل يارب .. ألهمنى العقل يارب...)).

قبل أن ينهض واقفا مد يديه إلى كومة التراب التـى احتجزها قبل زراعـة المحصـول الشـتوى ليترب بهـا تحـت البهائم فى زريبته، اغترف بكفيه المشققين أكثر من حفنة من التراب الجاف وذراه فوق الجمر الخابى مرة بعد مـرة حتـى اطمـأن تمامـا إلـى انخمـاد النـيران وخنقهـا داخـل الحفـرة .. همس متحسرا قبل أن ينتزع قدميه بتهالك متجها إلى زوجتـه القابعة فـى بيتـه الكئيـب ((آه لـو أتمكـن مـن إطفـاء جمـرات صدرى !!)) .

❖ ❖ ❖ ❖

* نشرت بجريدة (البيان) – ٥ مايو ١٩٩٤.

لم يكن انفجارى المفاجىء بالضحك منبثقا عن فيض من سعادة وفرح بأخى الأكبر الذى عاد لتوه من أوربا، بعد غياب خمس سنوات حصل فيها على الدكتوراه، لكن هذا الزلزال الذى هزّ بقسوة مناطق الاحتجاج الخامدة فى صدرى هو الذى عصف بكيانى، عندما أخبرنا بأنه غاب عنا، وعن الوطن مدة خمسة أعوام لكى يعود إلينا حاملا شهادة الدكتوراه فى علم نفس الحيوان!! ..((أتقول علم نفس الحيوانات؟ !!)) كررت على مسامعه هذا السؤال أكثر من مرة بدهشة واستنكار حقيقيين، لم يبال كثيرا بنبرة سؤالى، ولا بملامح وجهى التى اشتعلت بالغضب، مجرد إيماءات هادئة رزينة من رأسه رد بها علىّ مؤكدا ما صفعنى به من قبل، وما أن هالته رؤية الشلل الذى كبل تفكيرى وكل عضلات وجهى، حتى بادر موضحا بثقة عالية : ((أو تمتهينين بهذا العلم يا أختى الصغرى؟!! ...)) وراح يتحدث باهتمام شديد عن أهمية هذا العلم، واستخداماته، وفوائده

المختلفة، بل وزاد من عنده أنه يتفق مع شريعتنا الإسلامية التى تدعونا إلى الرفق بالحيوان، وذكرنى بحديث المرأة التى دخلت النار فى هرة.

قبل أن تتخافت مشاعر الاستغراب والدهشة، لامس ذاكرتى القط العجوز بوجهه الكالح .. أحسست باضطراب فى أعماقى لمجرد التذكر .. فهو لا يفاجئنا بالزيارة إلا فى الليل فقط!! .. لا نعرف من أين يأتى؟! ولا أين يختبىء طوال النهار؟! .. عيناه تختلفان عن عيون بقية القطط الأخرى!!، ولا يمكن رؤية مشاعر السكينة والدعة والهدوء فيهما أبدا!! تلمعان باحتراق مسعور وغضب مستنكر!! . إن مراقبتى لعينيه خلال لحظات قليلة تلقى فى أعماقى بالآف الأطنان من الرعب، خمنتِ مرتابة بينى وبين نفسى أن يكون هذا هو الجان الذى يحكى عنه السلف، الجان الذى يتقمص جسد القط ويقتحم البيوت ليلا، كم من التحذيرات سمعتها من جدتى وابوى بعدم التعرض له أو إهانة لهذا النوع من القطط الذى يثير الريبة، وإلا مزق جسدى ووجهى بمخالبه النارية وأحرقنى، أو أصابنى بشلل فى الحال، لذا لم أكن أجرؤ على التعرض له عندما يفرض نفسه على طعام

عشائنا بغطرسة وتعال وامتعاض وكراهية لرؤيتنا، ويبدو أن أمى أكثر منى خوفا منــه، فمـا أن تـراه وقـد انشـقت الأرض عنه فجأة، حتى تسارع باقتطــاع الجـزء الأكـبر مـن طعامهـا وتضعـه بـالقرب مـن الوجـه الأصفـر الكئيـب، كـانت يداهــا ترتعشان مهمـا حـاولت سـتر انفعالهـا بكلمـات تغلفـا بالحنـان والطيبة : ((القطط أرواح مثلنا ولقد أوصانــا الرسـول صلـى الله عليه وسلم بالاهتمام بها)) لم يكن رعبها يخفى عـن أحـد منا، لأننا فـى الحقيقـة يعتصرنـا نفس الإحسـاس، حتـى إننـا نضطر للتوقف عن مواصلة الحديث، بتلقائية يحجم كـل منـا عن النطق بحرف واحد، وقد تملكنا يقين بأن هذا القط يسـمع ويفهم كل ما نقول به، والغريب أن إحساس أجسادنا بحـرارة الجو يتفاقم بشكل يزيد من إحساسنا بالرعب، حتى أبى الـذى اعتاد على الصـراخ فـى وجوهنـا بشـكل دائم بحجـة تربيتنـا وتوجيهنا وتقويمنا، يـأخذ صوتـه فـى الاضمحـلال والتلاشـى تماما بمجرد أن يحتل القط العجـوز بيتنـا!! وتتوقـف جـدران البيـت عـن ترديـد صـوت أبـى الرنـــان كــالحبل المشــدود!! ويستحيل كلــه إلـى عينيـن زائغتيـن تتحسسـان طريقهمـا إلـى أطباق الطعام مرة وإلى عينيى القط العجوز المتلمـظ مـرات،

وبالرغم من إحساسـنا بالشـماتة فـى أبـى الـذى لا يكـف عـن تأنيبنا صارخا طوال النهار حتى ظهور هذا السيد المخيـف المتجهم فيفرض على أبى الصمت المطبق، إلا أننـا كنـا فـى الوقت نفسه نشعر تجاهه بـالعطف والشـفقة، وخاصـة عندمـا يحاول تبرير صمته المجبر عليه كما لو كان صمتا اختياريـا يلجأ إليه احتراما للطعـام، ويكـرر أمـره المتخـاذل لنـا : ((لا كلام على الطعام)).

لذا استغثت بأخى الدكتور فى علم نفس الحيـوان!!، ليحل لنا مشكلتنا مع هذا القـط المشبوه .. لـم يصـدق عندمـا انهـالت علـى أذنيـه حكاياتنـا عـن القـط وعـن شـكوكنا حـول حقيقته كقط .. لم يتمالك نفسه من الضحك وهو يسمع ويـرى منا كل هذا الكم من الفزع، طلب ورقة وقلمـا، وأخـذ يسـجل كل كلمة نقول بها عن تصرفات القـط وعـن تصرفاتنـا نحـن حيال وجوده، أدهشـنى وأضحكنـى شـكله الجـاد عندمـا كـان يكتب كل صغيرة وكبيرة تخـرج مـن أفواهنـا، وسـألنا عـن علاقتـه بـالقطط الأخـرى، وسـط دهشـتى قصصـت لـه عــن عدوانيته ووحشيته تجاه القطط الأخـرى، سـألنى عـن عمـره وعـن أعمـار القطـط الأخـرى وسألنـى أسئلـة كثيرة لـم أكـن

مقتنعة بمدى جدواها أو أهميتها، ومـع ذلـك انبريت للإجابـة عنها باهتمام.

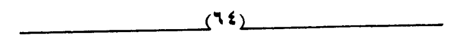
وما أن حل المساء، ووضـع طعـام العشـاء ورأينـاه يقف وسطنا كما لو كان قد سقط من السقف أو تفتقت عنـه الأرض، فى الحال، طلب منا أخى بحزم أن نبتسم ونضحـك وأن نواصل طعامنـا دون النظـر إلـى القـط .. طلـب منـا أن نهمل وجوده .. شدد على ضـرورة انـتزاع نظـرات الخـوف من أعيننا .. أطعناه جميعنا حتـى أبـى وأمـى، لكـن يبـدو أن أمى لم تكن واثقة كل الثقة من تصـرف أخـى، فلقـد نهضـت كعادتها لتضع فى مواجهة القط نفس القدر المعتاد من الطعام متعللة بأن ((القطط أنفس مثل أنفسنا)). كل ما اسـتجد عليهـا أنهـا اسـتجابت لتوجيهـات أخـى وواصلـت ضحكهـا المفتعـل وابتساماتها، ومهما كانت أوامر أخى من الشدة والحسم بعـدم متابعة النظر إلى القـط إلا أننـا لـم نتمكـن مـن كبـح فضولنـا واختـلاس النظـرة تلـو النظـرة، ونحـن نواصـل ضحكنـا المصطنع الذى استحال مع الوقت إلـى ضحـك حقيقـى علـى أنفسنا، كان أخى يشاركنا الضحك طالبا منـا أن نتمـادى فيـه ونبسـط كـل عضلات وجوهنـا، لا يجب أن نترك القط يشاهد

انقباض عضلاتنا وتجهمنا المعتاد الذى نواجهه به كلما حل.

لم نصدق أنفسنا ونحن نرى تغيرات مفاجئة حلت بتصرفات ونظرات القط العجوز .. تأملت من جديد فى عينيه، زايلتهما تماما أحاسيس التحفز والغطرسة والكراهية!! .. وجهه المتجهم حل محله وجه منبسط راض مرتاح!!، لم يتلكأ فى تناول طعامه كعادته!! .. ترك الطعام !! .. انصرف بهدوء، أدركنا قبل انصرافه أن حرارة الجو التى كنا نشعر بها من قبل وكنا نؤولها فيما بيننا على أنها أثر من آثار حضور الجن المخلوق من النار، قد انتفت .. الجو لم يعد حاراً!! .. أجسادنا صارت طبيعية! .. لقد رحل عنها وعن أنفسنا ما كان يصيبها من توتر واضطراب وارتباك .. كانت الليلة الأولى وتلتها ليال أخرى لم نشعر فيها بالرعب لزيارة هذا القط العجوز لبيتنا، وخاصة بعد أن حلل أخى كل ما وقع منا ومن القط من تصرفات تفاقم معها الشعور بالخوف منه وتبرير هذا الخوف بعلاقة هذا القط بالجن، فأوضح أن الحيوان فى العادة يترجم سلوكه ومشاعره طبقا لشعور وسلوك الإنسان الذى أمامه، وهذا القط بالذات يشعر

بالحقد والنقمـة علـى كـل مـن حولـه نظـرا لكـبر سـنه وفقـده للكثير من القدرات الخاصة التى كانت تميزه فى شبابه، وهذا هو السبب فى سلوكه العدوانى تجاه القطط التى تصغره سنا، أما نظراته وملامح وجهه تجاهنا فلم تكن سوى انعكـاس لمـا يراه فى عيوننا ويرتسم على ملامحنـا، وإحساسـه بأنـه غـير مرغوب فيه يحفـزه علـى العنـاد والبقـاء مـدة أطـول والتهام أكبر قـدر مـن الطعـام، لكـن مـا إن شـعر بالأمـان والراحـة والانبساط والسعادة تتدفق من عيوننا وملامحنا، حتـى تشـكل هو الآخر مثلنا، وكـرر أخـى الدكتـور لنـا بأننـا ومـن خـلال سـلوكنا نعلـم الحيـوان كيـف يتصـرف تجاهنـا، بعدهـا غـادر نفسى أى احتجاج على دراسة أخى .. لكننى أدركت فجأة أن أخـى لـم يعـالج نفـس القـط المشـبوه، لقد قـام بعـلاج نفوسـنا المرتعدة.





كلما داهم ليل شتاء القرية أشلاء بيوتها المتناثرة فوق القنوات الرطبة، كلما تململت أنواع وأشكال مختلفة وغامضة من المخاوف داخل جحورها متأهبة للزحف الهادىء والمصر إلى بعض قلوب حريم القرية ..

لكن هذه الليلة بالذات كانت أقسى ليالى هذا الشتاء اجتياحا لكيان وأعصاب صبرية زوجة بكر بن أبى اليزيد .. ولم يكن دافع القسوة أن مشنة خبزها تبيت فارغة .. فالحمد لله لديها وأولادها مايكفيهم لسنوات وسنوات .. ولم يكن سر القسوة هو خلو رحمها من الأجنة .. فالحمد لله لم يتركها زوجها ويسافر هذا العام إلا بعد أن اطمأن على رجولته وعلى خصوبة زوجته .. فهى تشعر أنها تحمل فى بطنها هذه المرة توأما من الذكور بالإضافة إلى ثلاثة أطفال ذكور تحتضنهم جميعا ومنذ أول الليل داخل صدرها الفخيم بعد أن تأكدت من غلق الباب الخارجى بإحكام مستخدمة أكثر من

ترباس وقفل طبقا لتوصيات زوجها المشددة قبل سفره منذ خمسة أشــهر إلـى الخليـج للمـرة الثالثـة .. ولـم تكتـف بغلـق الباب الخارجى فقط بل أغلقت باب حجرتها هذه التى تضمها هى وأطفالها الثلاثة والتليفزيون الملـون والمسـجل والغسـالة الكهربيـة وطقـم (الأكروبـال) والثلاثـة آلاف جنيـه التـى لا يعرف عنها أحد حتى أمها أقرب الناس إلى قلبها وسرها .. لقد أوصاها بكر بضرورة كتمان سر هذا المبلـغ عن أعز الناس .. فربما تسرب منهما الخبر بحسن نيـة ووصـل إلـى أسماع أولاد الحرام فى القرية وما أكثرهم هذه الأيـام .. فـى الحـال سيسـتغلون إقامتهـا وحيدة فـى بيتهـا ومـع أولادهـا وينقضون عليها ليلا يأخذون المبلغ وهو كل مدخرات العمـر والغربة .. وقد يذبحونها هـى وأولادهـا ..استشرى الرعب من جديد فى أعطاف جسدها عندما تذكرت كلمـات بكـر لهـا فانكفأت من جديد فوق أولادها الثلاثة النائمين كالقطط الوليدة .. واصلت احتضانها لهم .. ولم تدر بالضبط السبب الحقيقى لتدفق موجات الخوف تلو الموجـات علـى صدرهـا الليلـة .. ربما كان هذا الصوت المبهم الذى استقبلته أذناهـا منـذ أن

انتهى إرسال التليفزيون الملون وأغلقته متأهبة للنوم .. لكن الصوت كان قد توقف تماما .. خمنت أن تكون رياح الشتاء تحرك أغصان شجرة التوت الصغيرة المزروعة فى حوش الدار .. واطمأنت لدقائق .. لكن الصوت عاود من جديد .. أصاخت إليه السمع جيدا هذه المرة بعد أن عدلت من رؤوس أطفالها حتى لا يصدر عنهم أى شخير يلوث سكون الليل .. فى هذه المرة ارتفع وجيب قلبها أكثر من ذى قبل .. لقد تيقنت أن الصوت ليس صوت الرياح التى تجتاز الأغصان الصغيرة.. إنه صوت مختلف تماما.. انه صوت حفر منتظم.. خمنت أيضا أن هذا الحفر لا يتم بعيدا عنها من حيث المكان .. إن الحفر يحدث الآن فى الحوشة التى تفصل بين الباب الخارجى وبين باب حجرتها الحصينة .. وثبت بعينيها القلقتين إلى باب حجرتها لتتأكد مرة أخرى من مدى حصانتها.. تأكدت من جديد أن الكالون الكبير مغلق بالمفتاح وأن المفتاح تضعه فى فتحة الكالون بالعرض حتى لا يتمكن أى لص من دفعه من خارج الباب فيسقط على الأرض ويتلقاه على الجريدة التى سيمررها من تحت عقب الباب ثم

يسحب الجريدة وعليها المفتاح الذى تمكن من إسقاطه كما رأت هى زوجها بكر فى أحد الأفلام.. ليلتها نبه عليها مشددا أن تضع المفتاح فى فتحة الكالون بالعرض بعد أن تغلقه جيدا .. حتى لا يحدث معها فى غيابه مثلما حدث فى الفيلم .. ولم تنس أن تفعل ذلك أبدا فى ليلة من الليالى منذ أن تركها وسافر .. ووثبت بسرعة إلى الترباسين الكبيرين المثبتين فى النصف الأعلى من الباب وفوق الكالون .. تأكدت أيضا أنهما على حالهما منذ أن أغلقتهما فى أول الليل .. انزلقت بسرعة إلى النصف الأسفل من الباب لتتأكد من أن أطفالها الصغار لم يعبثوا بالترباسين القريبين من الأرض فهما فى متناول أيديهم وصغارها أشقياء لا يتركون شيئا فى البيت على حاله .. لكنها تأكدت أيضا أن الترباسين تحت الكالون الكبير كما هما لم يمسا .. وتذكرت أن عقابها الدائم لهم قد جاء بنتيجة ولم يحاولوا الاقتراب إلى الترباسين .. توقف صوت الحفر المنتظم من جديد ...

لكن بعد لحظات عاود الحفر المنتظم مهاجمة سمعها وأعصابها .. الآن لم يعد لديها أى شك بأن هناك من

يحاول الحفر في حوشة الدار وأن هذا الحفر يقترب من الحجرة التى تقبع فيها ومعها تحويشة عمرها وعمر زوجها من أولاد وأموال الغربة .. لم تدر ماذا تفعل .. هل تصرخ؟ .. لن يسمعها أحد .. لقد صمم زوجها أن يبنى لهم بيتا جديدا من الحجر الأحمر فى وسط أرضه بعيدا عن بيوت أهل القرية الذين يفحون بالحقد عليهم والحسد لهم بعد أن أنعم الله وعمل فى الخليج وعاد بالدولارات .. وكان يكرر لها أن الناس فى هذه الأيام صاروا شرا يجب البعد عنه .

فكرت لو تفتح الراديو وتعلى من صوته حتى يعرف اللص الذى يحفر هذا الحفر المنتظم أن أصحاب البيت مازالوا مستيقظين فيهرب .. مدت يدها إلى المسجل الكبير أبو سماعتين الذى أحضره بكر معه بعد سفرته الثانية .. فتحت المذياع راحت تقلب فى المحطات كلها ..نامت كل المحطات تقريبا .. لم تجد غير محطة القاهرة التى لا يغمض لها جفن أبدا طوال النهار والليل .. ضبطتها حتى يخرج الصوت واضحا ورفعت الصوت.. كان عبدالوهاب

يغنــى أغنيــة ((محلاهـا عيشــة الفـلاح .. متهنــى والبـــال مرتاح)).

ولم تعجبها الأغنية .. أغلقت الراديو .. الآن اقتنـع اللص بيقظتنا .. حتما سيهرب ولن أسمع صوته مرة أخـرى .. لكن الحفر المنتظم لم يتوقف .. ظـل متواصـلا بنشـاط .. وتركت لكل مخـالب الرعـب الفرصـة لكـى تنشـب أظافرهـا الحادة والمتسخة فى أعماق أمنها .. جف ريقها وهـى تسـأل نفسها عما ينتويـه هـذا اللـص الـذى ينقب الأرض ويحفرهـا لكى يدخل عليها وعلى أولادها ومالها مـن تحت الأرض .. لابد أن أحدا من أقاربنا قد أخبره بالكـالون والـترابيس التـى نستخدمها فى غلق الباب مما جعله لا يفكر فى تحطيم البـاب .. فكر فى الدخول إلينا من تحت الأرض أسهل من تحطيـم الباب .. لكن مـاذا يريـد بـالضبط؟!! .. نظـرت بخـوف إلـى المكان الذى تخبــىء فيـه الثلاثـة آلاف جنيـه .. منـذ أن لفهـا زوجها بكر فى كيس بلاستيك لفة جيدة ودفنها تحـت الأرض وسافر وهى لـم تفكـر مـرة أن تخرجهـا مـن تحت الأرض الترابية .. عندما قالـت لبكـر أنـه مـن الأفضـل وضعهـا فـى

البنـك كمـا يفعـل النـاس، نهرهـا موبخـا ومحــذرا مــن هــذا التصرف لأن الحكومة تعتبر نفسها ضمن الورثة .. وتنقض على المبلغ ولا تترك للأولاد إلا الشيء القليل ((ومــا حــادش يقدريكلم الحكومة ولا يقول للغولة عينك حمرا)) .. لكن فـى هذه اللحظـات تمنت لـو أن زوجهـا قـد وضـع هــذا المبلــغ الضخم فى البنك حتى ولو أخذت الحكومــة نصفـه .. أفضـل لها من هذا الرعـب وضيـاع المبلـغ كلـه .. لكـن مـن الـذى أدرى اللص بأن لدينا هذا المبلغ؟! .. لا أحد يعرف عنــه أى شيء .. هل يريد التليفزيون الملون؟! .. هل يريد الأولاد؟!! انداحت من جديد عواصف من الفزع بيـن خلايـا جسـدها .. بدأت تلحظ ارتعاشات فى أصابع يديها .. زاد انكماشها حول نفسـها وتكـورت حـول صـغارهـا .. لكـن قبـل أن تفيـق مـــن فزعها المتصاعد على صوت الحفر المنتظـم المقـترب تمامـا مـن بـاب حجرتهـا والتـى صـارت تسـمع ارتطــام الحصـــى والأتربـة الناتجـة عـن الحفر بخشبة فتحدث صوتــا شــبيها بحشرجة المريض بالربو . اعتصرها خاطر مدمـر لكـل مـا تبقى لها من أحاسيس مطمئنة . ((لماذا لم يكـن الغـرض مـن

دخولـه إلـى الحجـرة هـو اغتصـابك أنـت؟! .. فـأنت شـابة وجميلـة .. وزوجـك بعيـد عنـك .. كلهـا أشـياء تثـير لعـاب الأشـقياء مـن الشـباب)) . وطـاف خيالهـا فـى لحظـة واحـدة بالأشـقياء فـى قريتهـا لـم تـدر لمـاذا توقفـت عنـد محفـوظ الحرامى؟ .. ربما لأنه يتابعهـا بعينيـه الخبيثتيـن فـى ذهابهـا وعودتها .. ربما لمحاولته صبـاح أمـس الاقـتراب مـن ابنهـا فوزى ومداعبتـه وتقبيلـه وهـو يرفـع عينيـه الخبيثيـن إليهـا كالمسامير .. شمل جسدها خدر لم تواجهه من قبل .. فكرت أن توقظ أطفالها الصغار .. فكرت أن تقرصهم بأصابعها أو تصفعهم ليبكوا .. لـم يعـد أمامهـا إلا هـذه المحاولـة .. لكن قلبها لم يطاوعها أن تفعل هذا مع كتاكيتها الصغار .. رفعت عينيها إلى السماء متوسلة أن يقف بجوارهـا فـى وحدتهـا .. لكن تصميما مفاجئا اجتاحها ونـذرت للـه لـو أنـه نجاهـا مـن لص هـذه الليلـة فلـن تسـمح لزوجهـا بالسفر مـرة أخـرى .. ستجعله يبقى معها ومع أولادها ويكفيها الإحساس بالأمان .. لكن الحفر المنتظم لم يتوقف .. بـدأت تشـعر بـه يصـل إلـى تحت عقب الباب .. لم تجد بدا من أن توقظ أولادها وتفتـح

الراديـو وتعلـى مـن صوتـه واسـتيقظ الأطفـال بيـن بكـاء وصراخ.

لكن كل هذا الضجيج لم يكن يحـول دون استمرار الحفر المنتظـم .. بـل كـان يزيـده همـة وحماسـا حتـى شـعر الجميـع بـأن هنـاك مـن يحفـر تحتهـم .. كـان أكـثر الأولاد ملاحظة لرعب أمه ابنها الأكبر فوزى الذى قال لها مطمئنـا: لا تخافى يا أمى نور الصبح يملأ الدنيا.

دهشت صبريـة لأنهـا فعـلا لـم تتنبـه إلـى أن نـور الصبح قد دخل عليهم من شيش الشبابيك الأفرنجـى .. لكـن أى لص جرىء هذا الـذى يواصـل حفـره تحتهـم فـى وضـح النهار .. ربما لم يشعر به لأنــه تحت الأرض؟!! .. فلنرفع صوتنـا عاليـا وننبهـه إلـى أن النهـار طلـع .. أخـذت تنـادى أطفالها بالرغم من يقظتهم مما أثار دهشـة الأطفـال .. كيـف تقول لهم استيقظوا لأن الشمس سطعت وهـم غير نـائمين .. لم يحل ذلك أيضا من اسـتمرار الحفـر المنتظـم الـذى وصـل إلى وسط الحجرة تقريبـا .. فلـم تجـد وسيلة أفضـل مـن أن تتجرأ وتفتح الشباك وتطل منــه على الحقول المحيطـــة بهــا

ربما وجدت من يغيثها من أهل القرية .. وعلى البعد لمحـت أحدهم يهم فـى سيره، خمنـت أنـه متوجـه إلـى المدينـة .. تذكرت أن اليوم هو سـوق المدينـة .. لكنهـا قبل أن تصـرخ وتنادى عليه سمعت أطفالها يصرخون أولا .. ثم يغرقون فى ضحك متواصل .. لم تصدق عيونهـا وهـى تـرى حفـرة عميقـة فـى وسـط الحجرة وقد أطلت منهـا بنصـف جسـمها كلبتهم السوداء تهز رأسـها لهـم فـى محبـة وود مبتسـمة فـى ولاء .

❖ ❖ ❖ ❖

غطى السحر فى تجاعيد وجهه .. تفل فى عينيه المغمضتين على نعاس متوتر .. تمطى حاجباها الغليظان أكثر من مرة .. قبل أن يتمطى هو بكل ما أبقته له السنون الستون من جسد مفكوك .. أخيرا نهض كعادته قبل أن ينهض وينتصب أذان الفجر داخل أسماع الكون الساجى .. فتح باب حجرته الوحيدة فوق سطح الطابق الخامس لمنزل عتيق فى أحضان أحد الأحياء الشعبية .. رأى الفضاء يواجهه بعينى طفل مجهد مغمض الأهداب .. استشعر بصيصا من راحة متوجسة عندما أدرك أنه وحده يتجول بحرية فوق قمة هذا البيت دون منازع أو منافس على كل مساحته الشاخصة إلى السماء ذات النجوم المرهقة الذاهبة .. وحده هو الذى يسيطر على السطح .. تماما كما كان فى فجر شبابه يتربع فوق كرسى رئيس التحرير لمجلة "الصمود الحتمى" السياسية الأدبية ذات الاتجاه اليسارى .. كان يومها قبلة للمخلصين والمنافقين من الكتاب على حد سواء ..

الجميع يمطرونه بوابل من كلمات التقريظ والمديح التى كـان فى حالة استغناء كامل عنها .. فلم يكـن لديـه الوقت الكـافى لها .. فلقد كان كأس يومه مفعما بالعمل، لدرجة أنه نسى أن يكمل دراسته فى كليـة الحقوق تمامـا .. هجرهـا بينمـا كـان على أبواب الليسانس .

سـمع فـى الطرقـات الممتــدة تحـت أقـدام البيــوت المزدحمة فى الحى همهمات بعض القـاصدين إلـى المسـاجد .. فكر فى الهبوط كعادتـه منذ شـهرين، إلـى الطرقـات هـو أيضا فى مثل هذا الوقـت مـن كـل صبـاح .. لـم يكـن هدفـه سـاحة أى مسـجد .. فهذا أمـر قـد حسـمه منـذ فجـر شـبابه اليسـارى .. فـى مثـل هـذا الوقت يمكنــه أن يحصــل علــى الطبعات الأولى مـن الجرائـد اليوميـة والمجـلات الأسـبوعية التى ينشر فيها مقالاته .. مترقبا فى صبر نافذ نجـاح خطتـه الأخيرة والتى لو نجحت لجعلت منه - كما كـان مـن قبـل - نجما يلمع فى بؤرة اهتمام الساحات الأدبية والنقدية .. لم يعد الهبوط يجهده كمـا كـان .. فلقد توصـل إلـى أسـهل الطـرق

للهبوط من الطـابق السـادس وحتـى الأرض .. كـان يسـميها بينه وبين نفسـه الانحدار السريع .. لقد اكتشـف أن الأطفـال أكثر حكمة وذكاء من الكبار .. فاستخدام الدرابزين الأسمنتى الأملـس لا يكلـف ممتطيـه غير التحكم فـى توازنـه والتثبت اليقظ بكلتا يديه واحتضانه بفخذين منسـابين .. كـان حريصـا على ألا يراه أحد من سكان العمارة .. وخاصة الأطفال وإلا هتفوا من حوله ((العبيط أهوه .. العبيط أهـوه)) .. لـذا كـان يعتبرها عادته السرية الوحيدة ..

عندما انزلـق جسـده بنعومـة فـوق الدرابزيـن مـارا بالطابق الخامس صفعه بقسوة وجه أبيه الحاد وهو يتبرأ منـه عندما تأكد بنفسه أن ابنه مجيد قد تـرك الدراسـة نهائيـا فـى كليـة الحقـوق وخيـب أملـه وأمـل أمـه فـى أن يصبـح وكيـلا للنائب العام .. لكن الـذى أفزعـه بحـق هـو علمـه بـأن ولـده تخلى عن دين أبيه وصار ملحدا .. بعدها بأيـام علـم أن أبـاه قد مات كمدا وخزيا وحسرة .. ابتسم سـاخرا وأشـاح لطيـف أبيه الرجعى .. وواصل انحداره ..

لكنه عندمـا كـان يواصـل انزلاقـه مـرورا بالطـابق الرابع ارتج جسده الهزيل وكاد يختل توازنه ويسقط فى بـئر السلم عندما شقت صرخة أمـه طبلتـى أذنيـه .. شـعر بنـيزك ضخـم فـى كامل انصهاره وتوهجه يسكن أعماقـه .. تذكرها وهى تدفعه بكراهية وبكل مـا جمعتـه مـن اشمئزاز مخرجـة إياه من بيتها القروى رافضة قبولهـا لعزائـه فـى أبيـه ((أنـت لست ولدى .. أنت لست ابن الحاج محمد القبانى إمام مسـجد القرية ومحفظ القرآن الكريم .. أنت من قتلتـه بكفرك .. أنـا أيضا بريئة منك إلى يوم الدين .. لـن تكسـب ولـن تربـح مـا دمت غاضبة عليك .. سـتقضى بقيـة عمـرك فـى شـقاء)) .. لكنه مع ذلك تمكن من التماسك والسخرية من هاتف أمه بعـد أن هز أذنيه بعنف .. كأنه ينفضهما وينظفهما تماما مما علق بهمـا مـن صـراخ أمـه الحـــانق .. ابتسـم سـاخرا وواصـل انحدار ..

عندما مر منزلقا فى مواجهة الطابق الثالث سـرت فى جسده ما يشـبه تيـارات عنيفـة مـن الغضـب والتحـدى .. بتلقائية ودون وعى بصق فى وجه قائد المعتقل الـذى قضـى

بين جدرانه مايقرب من سبع سنوات عجـاف .. دونمـا إرادة ضم فخذيه بحـدة حـول الدرابزيـن .. مـرة أخـرى يزيـد مـن تثبت يديه مخافة السقوط بعد أن عم كيانه التوتر وهو يتذكـر الصول المكلف بتعذيبه وانتهاك كرامته التى كـانت .. ومـرة أخرى بصق عليه وواصل انحداره إلى الأسفل..

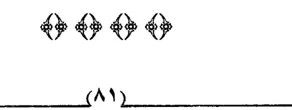
فى مواجهة الطابق الثانى شعر برغبته فـى التمهـل .. أراد أن يتوقف للحظات .. سأل نفسـه دهشـا ربمـا للمـرة المليون .. كيف تمكنت الصدفة من جعلـه مجرمـا؟..!!.. لقد ذهب إلى فرنسا بعد خروجه مـن المعتقـل .. وبعـد أن أدرك أن الزمـن السياسـى ليـس فـى صـالح اليسـاريين .. قـرر أن يجعل من نفسه الدكتور طـه حسـين الجديـد .. سـيذهب إلـى فرنسا .. سيتزوج فرنسية .. سيكمل تعليمه .. سيحصل على الدكتوراه فى القانون من أشـهر جامعـات فرنسـا .. تزوجهـا فعلا فرنسية .. وقبل أن ينضم إلى الجامعة اضطر إلى قتلها هى وعشيقها .. لم يكن الدافع إلى ذلك الغيرة .. فهذا شـعور بدائـى يتنـافى وتقدميتـه .. الـذى أثـاره فـى الحقيقـة هـو أن عشيقهـا كـان يمينيـا خالصـا .. لقد خانـت المبـادىء قبـل أن

تخون شرف الزوجية .. لم يستطع أن يسيطر لحظتها على نفسه .. اضطر لقضاء بقية عمره فى أحد سجون فرنسا ..((كانت فترة كالحة فى حياتى)) هكذا همس لنفسه وواصل انحداره بعد التوقف ..

فى مواجهة الطابق الأول .. وقبل أن يهبط إلى الطابق الأرضى..غرقت كل تجاعيد وجهه وأسنانه الصفراء الآيلة للسقوط فى أحلى ابتساماته .. فها هو يرجع إلى أرض الوطن من جديد ..أخذ يستجدى القائمين على أمر الصحف والمجلات مذكرا لهم بمجده القديم .. لم يبخلوا عليه .. تركوا لقلمه أن يعبث كما يشاء .. لكنه لم يعد قادرا على الإبداع الحقيقى .. انصرف عنه القراء .. لم ييأس .. فكر فى أن يلقى بكل كيانه وسط لهيب الشهرة من جديد رغم أنف الجميع .. منذ شهرين راح يهاجم كل الأقلام الشابة المتحمسة .. كان يتوقع أن يكون الرد عليه من قبلهم سريعا، وتشتعل الساحة الأدبية حول اسمه .. لم يحدث ذلك .. أكثر من شهرين وهو يتابع الصحف والمجلات الأدبية ممنيا نفسه بأن يرى اسمه تهاجمه الأقلام .. لكن لم يرد عليه أحد .. لم

يهتم به أحد .. كأنـه غير موجـود علـى الإطـلاق .. انتابـه شعور غامض .. كان خليطا مـن الخـوف والشـك .. تسـاءل بحـذر وتوجـس ((أيعقـل أن تكـون حيـاتى كلهـا مجـرد وهـم وخيال ليس له أى أساس من الحقيقة؟ !! .. ربما لم أولد بعد ومازلت جنينا فى بطن أمى!! .. ربما مت منـذ فـترة طويلـة ولم أشعر بذلك!! .. ربما كنت أحلم !!..)).

أراد أن يتأكد من أنه مازال على قيد الحياة .. قرر ألا يكمل الانحدار انزلاقا على الدرابزين قرر أن يهبط فـوق السلم .. ترجل من على الدرابزيـن .. شـرع ينـزل بحـرص شـديد .. لكنـه قبـل أن تلامـس قدمـاه الأرض تذكـر أنـه لـم يحضر معه الفلوس اللازمة لشراء الجرائد .. انكمش مكانـه محسـورا متضايقـا وهـو يرفـع عينيـه الضعيفتيـن إلـى أعلـى السلم .. ثم همس إلى نفسه قبل أن يلقى بجسده فـوق السـلمة الأخيرة ((ما أسهل الانحدار .. وما أصعب الصعود!!)).



ليس هناك حل آخر

نهض الحاج صبرى العربى بخفة نفس راضية من جلسته المنفردة فى صالة شقته .. استقبل القبلة ناويا صلاة ركعتى شكر لله، بعد أن وضع على الطاولة المجاورة رسالتين فرغ لتوه من قراءتهما ..

عندما أقبلت زوجته الحاجة زينب من المطبخ حاملة بين يديها صينية صغيرة تنتصب فوقها ثلاثة أكواب من عصير المانجو الطازج .. خامرتها الدهشة حالما رأته منتصبا للصلاة، ذكرت نفسها، وهى تطالع ملامح وجهه المنبسطة المضيئة ((لقد انتهى من صلاة العشاء فى المسجد مع الجماعة منذ أكثر من ساعتين!! .. أى صلاة يصليها الآن إذن؟!!)) تقدمت إلى المنضدة لتضع عليها الصينية، وهى تنادى ابنتهما الزهراء لتتناول كوب العصير الخاص بها .. لمحت عيناها المظروفين الموضوعين فوق المنضدة ..

ابتهج صدرها واحتضن كل جسدها الممتلىء حنين جـارف لأبنائهمـا الأربعــة الذيــن يدرســون فــى جامعــات الفلبييــن وأوكرانيا.. طفرت دمعاتها وهى تقرأ بلهفة أسماءهم علـى المظروفيـن مـن الخـارج .. ارتفـع صوتهــا بتلقائيــة بدعــاء متواصـل ليحفظهم اللـه فـى غربتهـم، وأن يكملـوا دراسـاتهم بنجاح.

من داخل إحدى حجرات الشقة أقبلت الزهراء شـبه متأففة لنداء أمها الذى انتزعها قسرا من بين أحضــان كتبهـا، ولم يبق على امتحانها غير أيام معدودات ((ماما!!.. لـم يعد هناك أى وقت لأضيعه!!.. ثم إنه لم تعد لـدى قابليـة للطعـام أو الشراب .. أرجوك ياماما أنت تعلمين أهمية المجموع فـى الثانوية العامة وخاصة لنا نحن المصرييـن المغتربين .. أنـا لن أستطيع أن أفعل مثلما فعل إخوتى البنين..)).

بعطـف بـالغ خاطبتهـا أمهـا كأنهـا تعتـذر لهـا ((يـا حبيبتى لابد لك من شرب كوب العصير هذا .. ليمنحك القوة والطاقة اللازمة للتحصيل..)).



التفت إليها أبوها باسما بعد أن انتهى من الركعتين .. خاطبها بود مداعبا وخاصة أنها صغيرة أسرته ((يا حبيبتى إن لبدنك عليك حقا .. ومن حقه عليك أن تأكلى وتشربى وتنامى بشكل جيد .. وإلا جاءت النتيجة - لا قدر الله - عكسية .. أتمنى أن يأتى اليوم الذى أراك فيه مثل البطة السمينة مثل أمك..)).

ضحكوا جميعا ..تناولت الزهراء كوبها عائدة إلى حجرتها متوسلة إليهما بصوت عال ((المزيد من الدعاء .. المزيد من الدعاء حتى أنتصر على غول الواحد فى المائة)).

ما إن انتهيا من الدعاء لها ولإخوتها حتى جلست الحاجة إلى زوجها مقدمة له كوب العصير بارتياح، ثم سألته بشغف ((أجاءت هذه الخطابات اليوم من الأولاد ياحاج؟)). تناول منها الكوب بيد ومد لها المظروفين بيده الأخرى مطمئنا لها بسعادة ((نعم ياحاجة .. الحمد لله لقد وفقهم الله فى امتحاناتهم.. نجحوا ..إنهم يحققون حلم حياتى ياحاجة .. الطب .. الهندسة..)).

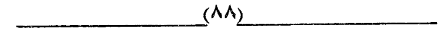
لـم يستمع الحـاج صـبرى لكلمـات الحمـد والشـكر والدعاء لله التى فـاض بهـا قلـب زوجتـه .. بـل انزلقـت بـه أفكـاره إلـى أعمـاق محيط ماضيـه وفجر شبابه المغتصب .. حرم من تحقيق حلمه فى الالتحاق بإحدى الكليات العمليـة .. كان مترددا بين الطب بميزاته والهندسة بميزاتها .. وبـالرغم من حصوله على الثانوية العامة بمجموع يؤهله للقبـول بـأى منهمـا .. إلا أنـه لـم يحقـق حلمـه .. وحتـى الآن لا يعـرف السبب الحقيقى وراء كل هذا .. لـم يعـرف السـبب الحقيقـى الذى جعل بعض رجال الشرطة يهـاجمون بيـت أسـرته ليـلا وينتزعونـه مـن أحضـان أمـه وأبيـه .. ألقـوا بـه فـى معتقـل صحـراوى ملتهب .. كلمـا سـأل لمــاذا؟ !! .. كـان يسـمع إجابات ساخرة .. لكنه تمكن من استنباط بعـض الأسباب .. غير أنه حتى الآن غير متيقن من استنتاجه .. ربما لأنه كان يداوم على الصلاة فى المسجد .. ربما لأن إمام المسجد كـان من الإخوان المسلمين .. ربما كتب إمام المسـجد اسـمه فـى أحد كشوف الجماعـة دون علمـه ووقـع هذا الكشـف فـى يـد السلطات .. ربما .. ربما .. على أى حـال .. ومهمـا كانـت

الأسباب الحقيقية خلف اعتقاله .. ترتب على ذلك الاعتقال أن انعزل عن العالم لمدة خمس عشرة سنة .. خرج بعدها غريبا عن كل شيء .. لم تعد قريته كما كانت .. أمه فارقت الحياة بعد أن فقدت الأمل فى خروجه والعودة إليها من جديد .. قيل له أن أهله حاولوا الاستعانة بأحد كبار المسئولين ممن لهم حظوة عند الرئيس .. كان رد الرئيس عبارة عن سؤال معجز فى إجابته ((أتحب أن ترانى مقتولا فى اليوم التالى للإفراج عنهم!!)).. وفقد الجميع الأمل .. فلم يخلق بعد من يحب أن يرى الرئيس مقتولا .. لذا خرج ليجد أباه قد تزوج من امرأة أخرى .. وبالرغم من أن أباه عرض عليه أن يكمل تعليمه أو أن يعمل بالثانوية العامة ويزوجه ويكمل تعليمه .. إلا أنه كره بقاءه فى البيت بعد أن صارت سيدته امرأة ثانية غير أمه .. لم ينقذه من ضيقه وحيرته وانغلاق أبواب الدنيا فى وجهه إلا زيارة لأحد أصدقائه كان من المعتقلين معه .. عرض عليه أن يصحبه إلى الخليج للعمل بها كمعلم بالثانوية العامة .. لم يسأل أين .. ولم يناقش الراتب .. كان كل همه أن يترك بيت أبيه وزوجة

أبيه التى لم يرتح لها .. أن يترك مصر التى ظلمته دونما سبب واضح وسرقت من عمره خمس عشرة سنة بدون وجه حق .. جاء إلى هذا البلد الخليجى .. منذ أكثر من عشرين سنة .. تزوج فى العام التالى .. وجاء بزوجته الحاجة من قريته بمصر .. كانت قد أكملت تعليمها بالمرحلة الإعدادية .. أحبها لذلك .. فهو ضد عمل المرأة .. وكأن الله أراد أن يعوضه عن كل الظلم الذى حاق بحياته .. ففى العام التالى مباشرة لزواجه منها رزق بذكرين توأم أسماهما أبا بكر وعمر ، وفى العام الذى تلاه رزقهما الله أيضا بذكرين توأم أسماهما عثمان وعلى .. شعر بسعادة لا حدود لها وهو ينادى كل يوم على الخلفاء الراشدين فى بيته .. صارح زوجته بأمله فى أن يرزقه الله بابنة يسميها فاطمة الزهراء .. وكأن كل أبواب السماء كانت مفتوحة بالفعل .. فى العام الثالث رزقا بالزهراء .. لم يقلقا عندما توقف إنجابهما بعد ذلك .. ولم يبحثا عن السبب .. فقد انشغلا بتربية أبنائهما الأربعة والزهراء الصغيرة ...

مـا إن فرغت الحاجـة هــي الأخـرى مـن قـراءة الرسالتين بوجه يتهلل فرحة وغبطـة حتـى أخـذت تمطرهمـا بالقبلات الباكيــة بصـوت مسـموع ممـا جعـل الحـاج صـبرى يتمكن مـن قـوة ابتـلاع دوامـة الذكريـات لنفسـه .. عـاد إلـى الحاجة من جديد .. إلى كوب العصير الذى لـم يـزل ممسـكا به، ولم يشرب منه رشفة واحدة .. قبل أن يتكلم إلى زوجتـه مستغربا هذا البكاء فضـل أن يرفـع حافـة الكـوب إلـى شـفته ويتذوق العصير .. هز رأسه مستحسـنا طمعـه .. ثـم همـس إلى الحاجة معاتبا ((بدلا من بكـائك هـذا .. انهضـى وصلـى ركعتى شكر لله ..وادعى له بالسلامة والتوفيق ..)).

انـتزعت منديـلا ورقيـا مـن علبتـه وطفقـت تجفـف عينيها شاكية شوقها بنبرات ممزقة ((أمن السـهل علـى أم يـا حاج أن يبتعد عنها أولادها هكذا؟ .. وفى بلاد بعيدة!! .. لـو كانوا فى بلدنا .. أو حتى فى بلد عربى لشـعرت بشـىء مـن الطمأنينة .. لكـن فـى بـلاد أجنبيـة حلالنـا حـرام عندهـم! .. وحرامنا حلال عندهم! .. وبعد هذا ألا تريدنى أن أقلق علـى أولادى؟!!)).



رشف رشفة كبيرة وابتلعها باستمتاع قبل أن يطرح عليهما السؤال الخالد ((وماذا كان فى يدينا لكـى نفعلـه أكـثر من هذا؟ !! .. الأولاد لم يقصروا .. حصلـوا علـى مجـاميع تجاوزت الخمس والثمــانين فـى المائـة .. لكـن قدرهـم جعـل بلدهم تتعامل معهم بجفاء كما تعاملت مـع أبيهـم مـن قبـل .. والأولاد – بسم الله ما شاء الله – نسبة الذكاء لديهم مرتفعـة .. ولـم يكـن أمامنـا لتحقيـق رغبـاتهم فـى الالتحــاق بــالطب والهندسة غير دراستهم فى تلك البلاد .. ولم يعـد لدينـا غـير الدعاء لهم بأن يحفظهم الله ويوفقهم .. وأن يطيل فى عمرى حتـى أتمكـن مـن الإنفــاق عليهــم وتوفـير نفقــات دراســتهم الباهظة..)).

هتفت الحاجـة بـإخلاص وتوسـل ((آميـن يـارب .. آمين يارب .. وليوفق الله الزهراء هذا العام .. حتى تتمكـن من الالتحاق بأى جامعة مصرية..)).

أجابهـا وهـو يكمـل شـرب العصـير ((إن شـاء اللـه ستحصل على مجموع كبير هذا العام .. أنـا متفـائل خـيرا.. ربما تمكنت من الحصول على أحد المراكز العشرة الأول ..

ربما تمكنا من إلحاقها بجامعة هذا البلد الطيب .. علمت أنهم يسمحون بنسبة محدودة من الطلبة الوافدين ...)).

قاطعته الحاجة بأمل وتوسل إلى اللـه : ((يـاليت يـا حاج .. لو تم هذا لشعرنا بالكثير من الراحة .. فمن الصعب علينا أن تبتعد عنا إبنتنا...)).

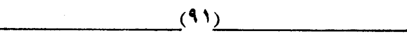
قبل أن يرد عليها الحاج تقدم إلى جهاز التليفزيـون ليفتحه مستدركا : ((نسيت أن تلميذنا معه لقاء فى التليفزيـون الليلة..)).

ولم يتوقف الحاج عن الحديث عن تلميذه النجيب .. الذى درس له فى المرحلتين الإبتدائية والإعدادية فى مدرسة مشتركة عندما قدم إلى هذه البلاد فى عامه الأول .. وواصل كلامه إلى الحاجة عـن وكيـل الـوزارة الجديـد .. الـذى كـان يعلمه ذات يـوم مبـادىء القـراءة والكتابـة والحسـاب .. كـان يتوسم فيه الكثير من الرفعة والمجد .. كان يتمـيز بشـخصية قيادية حاسمة.

لـم يتوقـف حديثـه عـن وكيـل الـوزارة حتـى بـدأ البرنامج المرتقب وأخذ المذيع يقدم وكيل الـوزارة الجديـد ..

فى الحال سلطت عليه الأضواء والكاميرا المخصصة لتصويره عن قرب .. فرأى الناس شابا مفتونا بكبر منصبه، وصغر سنه، يملأ وجهه الناعم اللامع شاشات التليفزيونات فى مختلف المساكن .. كان يصدر من عينيه بريقا خاصا .. اختلف المشاهدون فى تفسير شفرته، فمنهم من قال : ((إنه يشى بالخبث والمكر))، ومنهم من زعم : ((أنه يوحى بالتواضع والطيبة))، لكن الحاج صبرى أكد لزوجته والفرحة تملأ صدره وعينيه : تأملى بريق الذكاء والثقة المنبعثين عن عينيه!! .. لكم تنبأت له باحتلاله لمركز مرموق .. كنت أداعبه كثيرا، وأحذره من النسيان أو التنكر لى إذا ما تحققت أحلامىوصار رجلا مهما فى البلد .. لكنه ابن حلال .. كان يردد لى بيت أحمد شوقى عن تبجيل المعلم الذى كاد أن يكون رسولا...)).

قاطعته الحاجة وهو ترنو إلى وكيل الوزارة الشاب بفرح كأنه ابنها لكثرة ما تحدث عنه زوجها بحب وإكبار ((أيذكرك الآن ياحاج؟)).



أجابها الحاج بنبرة عتاب وتأكيد ((بالطبـع)).. منـذ عام التقيت معه صدفة فـى مبنـى وزارة التربيـة والتعليـم .. أقبـل نحـوى واحتضننـى مقبـلا لـى علـى الطريقـة المصريـة وردد بيت شعر أحمد شوقى .. وصمم على أن أتنـاول معـه القهوة فى مكتبه بالوزارة..

استغلت الحاجة الفرصة وهمست له : ((إذن يمكنـه أن يتوسط لنا لكى تلتحق زهراء بالجامعة هنا وتظـل معنـا.. مارأيك؟!!)).

وافقها الحاج على فكرتها، ولكنه أوضح لها أن هذا الأمر سابق لأوانه .. وربما حصلت الزهـراء علـى مجمـوع كبـير، ونجاهـا اللـه مـن هـم البحـث عـن وسـاطة البشـر .. وخاصة أنه يردد دائما لزوجته وأولاده مبدأه الأساسـى ((إذا سألت فاسأل الله .. كما أن الشكوى لغير اللـه مذلـة)). وفـى الحال رجاها ان تلتزم بالصمت حتى يتسنى له متابعة حديثـه الهام حول خطـة الـوزارة فـى عهده، والتغيرات والتطويـر الذى خطط له فى وزارته.

كـان وكيـل الـوزارة الشـاب المتــألق يتحـدث إلــى المذيع بطلاقة وثقة تثير فى نفس المشاهدين الفرحة .. لكنها كانت تثير فى نفس الحاج الإحساس بالفخر والعظمة .. شعر بأنه الفلاح الذى نجحت زراعته التى رواها بدمه وعرقه .. لم يعد يعتريه شعور بالندم على عمره الذى ضاع فى معتقلات الصحراء فى مصر .. هنا .. تمكن من تعويض كل خسائره .. فى الخليج بدأ حياة جديدة .. زراعته أثمرت فى تلاميذه من أبناء الدولة .. أمله القديم فى الالتحاق بالطب والهندسة يحققه له أبناؤه .. خمس سنوات فقط لكل منهم ويحصل على شهادة الطب أو الهندسة .. سيعودون إليه .. سيسعى للبحث عن عمل لهم هنا .. لقد قرر أن يقضــى بقية حياته هنا .. لقد ترك مصر منذ أكثر من عشرين سنة .. كلما ذهبوا إليها فى زيارة صيفية شعر بالغربة .. لم يعد له أصدقاء .. أقاربه انصرفوا عنه بالركض خلف لقمة العيش الصعبة .. معظمهم يتعاملون معه بحقد وعدم ارتياح لأنه كان فى يوم من الأيام معتقلا .. ومع ذلك كان حريصا على أن يربط أولاده ببلدهم الأم مصر .. وإلا كيف يؤدون

الخدمة العسكرية فى جيشها، ويدافعون عن أرضها، ويدفعون الضرائب لها دون أن يشعروا بأى انتماء لها .. كان يحفظهم دائما نشيد ((بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى .. مصر يا أم البلاد .. أنت غايتى والمراد..)) .. كان يتمنى من الله أن يدرس أولاده فى جامعات مصرية حتى يتأصل هذا الانتماء فى نفوس أولاده .. لكن يبدو أن القسوة كانت من نصيبه ونصيب أولاده .. لكن على أى حال لقد أبدله الله خيرا بالإقامة فى هذا البلد الخليجى .. لن يفكر فى تركه أبدا .. إنه يشعر بالانتماء إليه أكثر من بلده مصر .. ففيه تزوج .. وفيه رزقه الله بأولاده .. وفيه زرع العلم النافع وأينع رجالا كبارا ومسئولين أمثال وكيل الوزارة الذى يواصل حديثه عن خطته الجديدة.

نظر الحاج حوله فلم يجد الحاجة بجواره .. يبدو أنها انسحبت إلى المطبخ لتعد طعام العشاء، بينما كان شاردا فيما كان وما يريد أن يكون .. لم يهتم كثيرا وواصل متابعة وكيل الوزارة بشغف وسعادة إلى أن قال وكيل الوزارة : ((..ونظرا لأن أبناء الوطن حصلوا على الشهادات الجامعية

والفوق متوسطة بما يساعدنا على توطين الهيئة التدريسية فى المرحلة الابتدائية .. لذلك أصدرت الوزارة قرارا وسينفذ من الغد بإنهاء خدمات جميع المعلمين الوافدين الحاصلين على شهادة الثانوية العامة أولا .. ثم المعهد فوق المتوسط .. ونقول لهم شكرا لكم على إخلاصكم وتفانيكم معنا ...)).

النغمة التى سيطرت على الحاج صبرى إثر سماعه لتصريح تلميذه النجيب لم تكن بسبب انقطاع الرزق .. فهو يعلم أن الأرزاق بيد الله .. لقد قفز تفكيره فى الحال إلى الفليبين وأوكرانيا .. هناك حيث يتعلم الخلفاء الأربعة بالكثير من المصاريف .. لن يتمكن أولاده من إكمال تعليمهم .. لقد قضى على مستقبلهم كما قضى على مستقبل أبيهم من قبلهم .. كيف سيعود إلى بلده الآن؟ !! .. لماذا تغرب أحلامه دائما وهى فى قمة ازدهارها؟ !! .. لماذا يطعن من كل بلد يحبه؟!! عندما كان فى الثانوية العامة كان يحب مصر .. وكان يحلم بأن يرفع اسمها عاليا عندما يصبح طبيبا عالميا مشهورا، أو مهندسا عالميا مشهورا .. فدفنته ومعه أحلامه لخمسة عشر عاما .. واليوم وهو فى قمة حبه

وإخلاصه لهذا البلد يصدر تلميذه قرارا بطرده؟ !! .. ليس بطرده فقط!! .. بل يقتل أحلامه وأحلام أولاده .. ماذا يفعل؟!! .. هل يذهب إليه متوسلا لكي يبقيه خمس سنوات فقط حتى يحقق أولاده أحلامهم؟ !! .. وكيف ستكون حالته إذا اعتذر تلميذه عن قبول توسله هذا زاعما بحسمه المعهود فيه أن القرارا الوزارية لابد أن تحترم؟ !! .. ((أعرفه جيدا.. سيرد عليَّ قائلا : لقد علمتنا أن الرشوة والواسطة هى التى تدمر أى حضارة وتدخل الكراهية والبغضاء فى نفوس أهلها .. لكن ماذا أفعل يارب؟! .. ((..عندما كنت شابا وتم اعتقالى كانت المشكلة مشكلة فرد واحد .. لكنها الآن مشكلة أسرة بكاملها .. ستدمر كل أحلامهم وأنا المسئول عنهم أقف عاجزا!! .. لن أستطيع أن أنقذ أيا منهم!! .. سيضيعون فى البلاد البعيدة!! .. سيضيع الخلفاء الأربعة فى بلاد تبيح الخمر والزنى ((.. أيضيعون بالرغم من رحابة بلادهم وعظم ثروتها؟ !! .. وأنا هكذا عاجز مشلول عن إنقاذ أولادى!! .. لابد أن أذهب إلى وكيل الوزارة .. من أجل أولادى وأحلامهم سأضطر لتحمل الذل

.. سـأبكى تحت قدميـه .. لـو أراد أن يخفض وظيفتـى مـن معلم إلى خادم لمكتبه .. سأوافق .. لن أستطيع أن أعيش أنـا وأرى بعينى انهيار أحلام أبنائى ومستقبلهم مثلما حدث معـى .. إننى أعيش من أجلهم .. غدا سـأذهب إلـى سعادة وكيـل الوزارة .. لن أخجل من البكاء أمامه .. نعم .. لابد من قهر عزة نفسى وفعل ذلك .. ليس هناك حل آخـر لإنقـاذ مستقبل أبنـائى .. لـو أن مصـر عـاملتهم كمـا تعـامل بقيـة أبنائهـا المقيمين بها لما احتجت إلى البكاء على أعتاب تلاميذى! .. لكنه قدرى! .. ولابد أن أواجه بصبر..)).

فى ظهيرة اليوم التالى عندما رجـع الحـاج صـبرى إلى بيتـه مبكـرا علـى غير عادتـه نسيت الحاجـة زينـب أن تسأله عن السبب فى عودته مبكرا عندما شد انتباهها بفزع هذا الانكسـار المسيطر علـى ملامحـه، وأعصابـه المرتخيـة لدرجة أن ألقى بنفسه على أول كرسى قابله فى الصالة طالبا منها كوب ماء بارد .. فى الحال دخلت إلى المطبخ .. قـرر بينه وبين نفسه ألا يصارحها بذهابه إلى وكيل الـوزارة، ولا بفشله فى محاولة تأجيل إنهاء خدمته .. لكنه قرر أن ينسـى

كل ماحدث .. ووجد نفسه تلتهمه دوامة حادة مزجت ماضيه بمستقبل أولاده .. ووجه أمله المشرق يناديه .. وهو لـم يعـد قادرا على تحريك أى من أعضاء جسده التـى صـارت أكـثر ثقلا من جبال الملح .. كان بوده ألا يخذل أولاده .. لكنـه لـم يستطع .. كان بوده ألا يخذل الحاجة زوجتـه عندمـا رجعـت إليه بكوب الماء فوجدته جسدا لا يتحرك.





هوايات خبيثة

حينما دلف إلى الشقة الفخمة مع صديقه، وبعد أن أغلقا الباب خلفهما بإحكام .. رفع إليه عينين مضطربتين ببقية من حياء، وبالكثير من التوجس متسائلا : أمتأكد من عدم وجود أحد بشقتكم؟.. نظر إليه صديقه صاحب الشقة الفخمة مطمئنا ودهشا فى نفس الوقت .. ثم همس إليه بما يشبه التأنيب: ليس مثلك من يخجل أو يضطرب هكذا.! لقد سمعت منك ماجعلنى متيقنا تماما من أستاذيتك فى ممارسة هذه الهواية!

رد عليه فى الحال قائلا : ((أستاذيتى كانت قبل أن أتعرف عليك .. واكتشف أنك لست أستاذا فقط .. بل أستاذا ورئيس قسم .. وخاصة بعد أن أدخلت فيها العلم و(التكنولوجيا)..)).

انفجر الاثنان فى ضحك مطمئن .. نهض صاحب الشقة مستأذنا لإحضار أدوات ممارسة هواية التلصص واستراق النظر للجارات من خلف النوافذ والستائر.

بينما كان يقلب بصره فـي مكونـات الشقة وتأثيثها الراقى انتظارا لعودة صديقـه وزميلـه فـى نفس الكليـة التـى يـدرس بهـا هـز رأسـه عـدة مرات متحسرا علـى ظروفـه المعيشية المتهاوية .. لكنه ارتد إلـى طبيعتـه السـاخرة فقـال لنفسه هامسا : ((متهاوية لكنها هى التـى رفعتنـى إلـى أعلـى مكان فى العمارة وأتاحت لـى الفرصـة للسكنى فوق سكان الحى جميعهم .. فى حجرة فوق السطح أنـا وأمـى .. ومـن خلف شيش نوافذها الثلاث والتـى تطـل علـى ثـلاث حـارات ضيقة أمكننى ممارسة هوايتى الأثيرة منذ سنوات طويلـة .. منذ أن وقفـت متوترا علـى عتبـات المراهقـة الأولـى عندمـا اكتشفت لأول مـرة أن حجـرة وحيـدة وضيقـة تضمنـى أنـا وجسد أمى المحرم .. كنت أتحيـن فرصـة عدم وجـود أمـى بالحجرة وذهابهـا للعمـل فـى البيـوت البعيـدة للانفـاق علينـا، وأقـف خلـف الشيش بالسـاعات فـى متابعـة لجاراتنـا وهـن يتصرفـن علـى سـجيتهن دون حـذر أو احتيـاط مـن عينيـن خبيثتين تتوهجـان بالشـبق ترصـدان كـل جـزء لـدن مـن أجسادهن شبه العارية .. لدرجة رؤيتى لإحداهن عارية كمـا

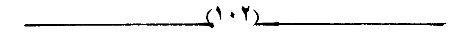
ولدتها أمها عندما اندفعت من الحمام بتلقائية على إثر صراخ طفلتها الصغيرة صراخا مفاجئا ومروعا ....)).

لقد قص على زميله كل ماراه من أجساد وتصرفات جاراته وكيفية اختيار أماكن الترصد والمتابعة .. وكيف صار يعرف بالخبرة والممارسة أنسب الأوقات لمتابعة هذه الجارة، وفى أيى يوم تقوم الجارة الأخرى بمسح بلاط شقتها ليتمكن من رؤية أجمل أرداف الحى على الإطلاق، والوسيلة المثلى لمتابعة ابنة الجيران وهى تبدل ملابسها ويراها بملابسها الداخلية.. كانت الحارات المحيطة به ضيقة والمسافات بين نوافذ حجرته والنوافذ والبلكونات الأخرى للجيران محدودة لدرجة أنه لم يكن بحاجة إلى أى وسائل معينة أو مناظير لمتابعة مايحدث عند الجيران .. كما يفعل زميله هذا .. لكن زميله لم يقتنع باستخدام المناظير المكبرة والتلسكوبات .. بل ألح على والده الذى يعمل فى الخليج أن يهديه كاميرا فيديو .. وأهداه والده حينما نجح فى الثانوية العامة أحدث كاميرا فيديو ومركب عليها تلسكوب حتى يتمكن من تصوير أبعد المشاهد .. فلم يعد يكتفى

بالتلصص على جاراته البعيدات عنه فقط .. بل صار يسجل لهن على شريط الفيديو..

كل ماسمعه من زميله عن استخدامه (للتكنولوجيـا) فى مجال ممارسة هذه الهواية فتح شهيته وطلب زيارته فـى شقته لرؤيتها بنفسه .. ممنيا نفسه برؤية أجمـل أجسـاد نسـاء الحى الراقى .. لاشك أنها أجساد مبهرة كلها فتنة وسـحر .. لاشـك أنهـا تختلـف عـن أجسـاد جاراتـه مـن سـاكنات الحـى الشعبى .. وافقه زميله على زيارته فى صومعته ليطلع علـى براعته فى التلصص على الجارات .. لكنه وضع لـه شـرطا وحيدا مقابل ذلك .. فقط يجعلـه يتلصـص معـه علـى جارتـه التى تتمتع بأجمل ردفين فـى الحـى وخاصـة لحظـة انحنائهـا لمسح بلاط شـقتها .. لـم يبـد أى اعـتراض بـل رحـب تمامـا بتحقيق رغبته فى وقت لاحق .

بعد لحظات رجع إليه زميله من داخل شقته حـاملا لبعض الأدوات .. رفـع صوتـه مرحبــا بصديقـه الجديـد : ((أهلا بك فى محراب الفن السفلى))..



أجابه ضاحكا : ((أهلا بك يا فنان زمانك الغامض .. ماذا أحضرت لضيفك ومريدك؟)).

رد عليه متقعرا متأنقا : ((لقد أحضرت لك يا بنى شريط فيديو مسجل عليه مشاهد مختلفة لأجمل أرداف البلد كلها على الإطلاق)).

ابتسم بسعادة وهو يتابع صديقه الذى شرع يضبط الفيديو مع التليفزيون .. ثم يلقم شريط الفيديو .. أثناء هذا فرقعت فى رأسه فكرة رائعة طرحها على صديقه الجديد : ((ما رأيك لو نستفيد بهذا التقدم (التكنولوجى) الرائع فى علم التجسس على الجارات ونصور العديد من المشاهد لجارتنا فى حينا الشعبى؟)).

أجابه صديقه صاحب الشقة الفاخرة وهو يضغط على زر تشغيل الفيديو : ((عن نفسى ليس لدى مايمنع .. فقط حدد الوقت المناسب لتصوير أجمل أرداف الحى ساعة مسيح بلاط الشقة)).

لم يرد عليه .. ولم يتنبه لكلماته الأخيرة .. كل ما انتزع عينيه من محجريهما بقوة وسحر هو هذا المشهد الذى

يعرض أمام عينيه .. كان مأخوذا برؤية أجمل ردفين وفخذين لامرأة تواصل انحنائها فوق بلاط الشقة .. ثم دخل عليه بزوم فصارت كبيرة وملء الشاشة .. فأغرب في ضحك هستيرى غير مصدق .. وواصل متابعة المشهد مقدرا براعة زميله في التصوير وقدرته الهائلة على استخدام كاميرا الفيديو .. ولم يتمالك نفسه فصارح صديقه بانبهار : ((أشهد لك ليس فقط بالأستاذية أو رئاسة القسم .. بل بالعمادة والمعلمة يا .....)).

خرس تماما .. لم يتمكن من غلق فمه الفاغر عندما استدارت المرأة المنحنية فوق البلاظ وواجهت الكاميرا وجهها دخلت عليها الكاميرا زوم .. للحظات ظل مشلول التفكير تخيل أنه كابوس أو تمنى أن يكون كابوسا .. فلم تكن هذه المرأة سوى أمه التى تنفق عليه من خدمتها في بيوت الآخرين .. في اللحظة التالية .. استرد وعيه .. استحال إلى ثور هائج .. انقض على أدوات التجسس محطما .. لم يعبأ بصراخ صديقه..

انهال عليــه لكمـا وركـلا حتـى فقد وعيـه .. حطَّـم الفيديو والشـريط .. تـرك كـل شـىء خلفـه مدمـرا .. انحـدر فوق سلالم العمارة العاليـة دون انتظـار للمصعـد .. قبـل أن يتلاشى وسط زحام الطريق العام .. انتابه شك مشوب بالعار فى أن يكون زميله الثرى محتفظا بأشرطة أخرى لـ .. لأمــه .. استدار صاعدا إليه مرة ثانية.





الطُّعْـــــــم

كعادته التى لم يغيرها حتى بعد أن تزوج، ولا حتى بعد أن أنجب أربعة أبناء أكبرهم فى الصف الثالث الإعدادى، خرج من بيته مقتحما بسعادة الجزء الأخير من الليل .. كان مصطحبا السنارة العتيقة والسلة التى يجمع فيها السمك الذى يصطاده من الترعة .. قبل أن يتقدم فى خطواته مبتعدا عن البيت مد أصابعه إلى قعر السلة ليتأكد من وجود العلبة الصفيح التى يحتفظ فيها بالطعم الذى سيغرى به السمك لالتهام السنارة .. مرة أخرى تحسس علبة سجائره وعلبة الكبريت فى جيوب الصديرى الذى يرتديه تحت جلبابه البلدى الواسع .

يعرف طريقه جيدا إلى مكانه المعتاد على شاطىء الترعة الكبيرة .. كل أهل القرية ينسبون هذا المكان إلى اسمه .. هو نفسه لم يفكر فى تغيير هذا المكان على مدى

العشرين سنة الماضية .. ربما كان هذا نوعا من التفاؤل بـه .. ربما كان يشعر فيه براحة نفسية خاصـة لا يستطيع لهـا تفسيرا .. فما أن يصل إلى هذا المكان فـى هـذا الشـطر مـن الليل ويلقى بسنارته المطعمة بالديدان الرفيعة الحمـراء التـى ينقب عنها فى حواف القنوات الطريـة مـن عصـر كـل يـوم، حتى تملـؤه سكينة نفسية وراحـة وطمأنينـة قلمـا يشـعر بهـا إنسان آخر .. لم يكن خروجه الليلى هذا حبـا فـى الحصـول على السمك بقدر ما كان نوعا من غسيل وتطهير ذاتـه مـن أدوات الحياة الصعبة التى يعيشها سواء فى عملـه الحكومـى أو مـع زوجتـه المبـذرة وأولاده الأغبيـاء .. لكـم حـاولوا هـم وأمهم أن يجبروه على التخلى عن هذه العادة الغريبة، والتـى يعايرهم بها زملاؤهم وأقرانهم .. بالطبع لم يستجب لهم، ولا لأمهم التى دخلت معه فى حروب ومعارك من أجل الإقـلاع عـن هـذا الجنـون، فالنسـاء فـى القريـة يهـزأن بهـا ملمحـات ومصرحـات بـأن زوجهـا يتعلـل بصيـد السـمك ليهـرب مـن فراش الزوجية، أمها وأخواتها البنـات يهاجمنهـا بشـكل دائـم بحجة فشلهـا فـى إغـراء زوجهـا بالبقـاء فـى فراشهـا طـوال

الليل.. لدرجة أنهـا فكـرت ذات مـرة أن تكلـف أحـدا بشـراء أقراص منومة من الصيدلية فى المدينة لتضعها له فى الشاى بعد العشاء، حتى تثبت للجميع ولو لعدة ليال أنها قادرة علـى إبقائه فى فراشها .. لكنها تراجعت عن الفكرة بعد أن خـافت من انكشاف أمرها، وتصـير هـى الأخـرى حكايـات ونـوادر سـاخرة تـترى علـى ألسـنة أهل القريـة .. فضلـت أن تسـلم أمرها لله فربما جاء الوقت الذى يقلـع هـو بنفسـه عن هـذه الهواية الشاذة ..

لم يقلع، واعتادت هى علـى ذلـك .. لكنـه فـى هـذه الليلة على وجه التحديد فكر فى أن يغير المكان الذى اعتـاد الجلوس فيه على شاطىء الترعة الكبيرة تحت شجرة التـوت الضخمة .. فكر أثناء سيره فى تغيير مساره إلـى المصـرف .. خمن أنها لابد وأن تكـون مملـؤة بالسـمك فـى هـذه الأيـام ((فنحـن فـى موسـم زراعـة الأرز .. جميـع الحقـول تصفـى ماءها فى المصرف .. مع مياه التصفية تنحدر الأسماك التى نمت وكبرت داخل حقول الأرز إلى المصرف..)) لم ينـاقش الفكرة كثيرا .. فهو ليس فى حاجة إلى حوار أو نقاش أو أى

تفكير، فهو لا يخرج إلا لكى يتناسى همومه ..لم يكترث أيضا بأن المصرف يبعد عن القرية بمسافة اثنين كيلو متر تقريبا .. وأن المكان موحش وغير مطروق للأقدام الآدمية إلا فى وضح النهار، وعندما تملأ الشمس صفحات الحقول المنبسطة .. لكنه أيضا لم يعبأ بذلك .. همس لنفسه مغريا لها بالبعد أكثر عن القرية، وعن الناس بالمثل الشعبى الذى يردده بشكل دائم ((البعد عن الناس غنيمة)) .. أشعل سيجارة وطفق يمتص رحيقها الأسود بلذة متحسسا دربه المختنق بين حقول الأرز الغارقة فى الماء .. أكثر من مرة غاصت إحدى قدميه فى الطين والماء المتسرب من حدود الحقول الضعيفة .. لم يشعر بأى تذمر لذلك .. كان يواصل سيره بهمة من يكلف بأداء أمر هام وخطير .

عندما وصل إلى شاطىء المصرف وقف للحظات يتفحص المكان فى بقية من ضوء القمر المتأهب للنعاس بعد طول سهره منذ أول الليل .. تخير مكانا مرتفعا ليجلس عليه .. أحس بأن هذا المكان سيشعره بالأمان أكثر من غيره .. لكنه تراجع عن اختياره بعد أن قدر المسافة بينه وبين مياه

المصـرف أدرك أن خيـط الســنارة لـن يصـل إلـى العمـق المناسب فى مياه المصرف .. لذا اضطر إلـى اختيـار مكـان أكثر انخفاضا .. جهز المكـان مـن حولـه .. وضـع بجـواره مباشرة العلبة الصفيح المحتويـة علـى الطعـم، وعلـى مسـافة مناسبة من الجهة الأخرى وضع السلة التـى سـيملأها بسـمك المصرف ..

لم يخب ظنه فى امتـلاء المصـرف بالسـمك .. فمـا يكاد أن يضـع السنارة فى الماء حتى يفاجأ بجذبة قوية وحـادة مما يوحى إليه بأن سمكة كبيرة قد ابتلعـت الطعـم .. يتركهـا للحظات حتى تبتلع الطعم إلـى آخـره .. ينزعهـا بعنـف مـرة واحدة حتى يضمن أن السـنارة تخـترق حلـق السـمكة تمامـا، وحتـى لا يكـون لديهـا فرصـــة للهـرب .. تجـاوزت حالتــه النفسية الإحساس بالسـكينة والراحـة والطمأنينـة إلـى مـا هـو أجمل وأسعد من ذلك .. لقد كانت فرحته لا تقدر بهذا الكنز الذى عثر عليه الليلة .. لقد خمن أنه يسـتطيع أن يمـلأ منهـا كل ليلة سلة كاملة من السمك الكبير .. بل إن حالة من النـدم انتابته لأنه لم يكتشف هذا المكان من قبل . أحـس بالسخريـة

من نفسه لأنه لسنوات طويلة كان يتمسك بمكانه المألوف على شاطيء الترعة الكبيرة يراه الذاهبون لصلاة الفجر كل يوم، أو المسافرون إلى أسواق المدن المجاورة .. عقد العزم بينه وبين نفسه على أن يحتفظ بسر هذا الكنز .. لن يبوح به لأحد .. ولا حتى لزوجته .. لن يسمح بتسرب سر هذا المكان الغنى بالأسماك إلى إنسان آخر .. وشرد للحظات مع السنارة التى كان يلقمها الطعم من جديد .. تحسس الطعم الطرى بشيء من القرف وهمس لنفسه ((تصطاد أجمل الأسماك بالديدان أقذر الكائنات!! .. بينما لو وضعنا لها التفاح ....)).

لم يتمكن من استطراده فى همسه لنفسه .. لقد توقف تماما عن عمل أى شيء .. انتبه فجأة إلى لهاث حيوان برى يقترب من مكانه محدثا خرفشة فى سيقان شجيرات القطن التى تطل عليه من الناحية الأخرى للمصرف .. رفع رأسه بصعوبة .. عيناه الكليلتان تستكشفان المكان .. ضوء القمر الناعس يوشك على الاضمحلال .. تسابقت دقات قلبه .. كان يقف أمامه متحفزا .. زفرات

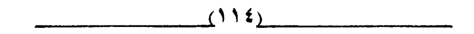
نارية تخرج من بين أسنان وأنياب حادة مشرعة .. تمنى أن يكون كلبا .. لكنه تيقن أنه ذئب شرس وجائع .. قشعريرة رعب تلبست كل أطرافه .. كرد فعل تلقائى فكر فى الانسحاب والهرب .. حاول النهوض .. لم يقدر .. خانته مفاصل.. تلفت حوله بيأس .. لم ير شيئا حوله .. تلال ترابية تحاصره .. تذكر أنه تخير مكانا منخفضا ليكون السمك فى متناول سنارته .. منى نفسه بصعوبة اجتياز الذئب للمصرف .. الذئب خيب ظنه .. فى اللحظة التالية وثب وثبة طويلة، وضعته بالتمام فوق التل الترابى الملاصق لمجلسه المنخفض .. أنفاس الذئب تتردد فى طبلتى أذنيه .. تتناثر داخل كل خلاياه العصبية كلدغ العقارب .. تقلصت أصابعه حول عصا السنارة ككلابتين من حديد صدىء .. أنفاسه المتلاحقه كانت أسرع من تفكيره الكسيح .. شرع الذئب فى إصدار أصوات الغدر المكتومة المتحفزة .. شعر بأن كيانه كله يذوب منه، يوشك أن يسيل فى مياه المصرف .. تمنى ذلك .. لكنه ظل متسمرا فى مواجهة انقضاض موشك .. خطر له أن يقرأ بعض الآيات القرآنية .. لم

يستطع أن يتذكر منها شيئا .. انحسر لعابه تماما عن جميع أركان حلقه ولسانه .. نزف عرقه .. بلل تحت إبطيه وظهر الصديرى .. كمحاولة أخيرة للحفاظ على حياته لأطول وقت ممكن .. جعل يده المرتجفة تتحسس طريقها الطويل إلى سلة السمك التى تلاصق جسده .. انتزع منها بعض السمك .. أطاح به إلى الأنياب المنفرجة .. فى الحال تبعها الذئب .. التهمها غير شاكر .. عاد مزمجرا إلى حيث كان وكيف كان .. عاودت يده انتزاع السمك .. طوحه فى أبعد مكان .. كرر الذئب اقترابه من جديد .. أدرك أن سمك السلة لن يكفى الوحش لحين انبلاج نور الصبح .. إحساسه بالخطر تسلل إلى أصابعه فتحررت من تقلصاتها .. عاودت الأصابع تعمير السنارة بالطعم وإلقائها فى مياه المصرف .. تحول هو الآخر دون أن يدرى إلى مجرد طعم يصطاد به الذئب سمك المصرف .. استحال إلى آلة (ميكانيكية) تعمل دون كلل لإخراج السمك وإلقائه إلى الذئب دون أن يلتفت إليه .. لم يعد يشعر بأى شىء آخر من حوله .. غاب عن الوجود تماما .. لم يشعر بنور الصبح وقد غمر المكان من حوله ..

لم يدرك أن الذئب قد شبع وتركه قبل مطاردة نور الصبح له .. لم يفطن إلى أنه يضع السنارة فى الماء دون طعم بعد أن نفد منه .. لم يدرك أن هنـاك عـددا مـن الفلاحين يتجمعـون حوله ويكتمون ضحكاتهم على مايفعله هذا الرجل المجنون..

فى مساء نفس اليوم، وفى الليالى التالية بدأ يتسرب إلى نفوس عائلته الكثير من القلق والتوتر والخـوف عليـه .. راحوا يتهامسون فيما بينهم بذهول : ((لماذا غير عادتـه بعد عشرين سنة؟! .. لماذا أحجم عن الخـروج للصيد ليـلا؟!!)) .. لم ينطق لهـم بالسـبب . حتـى لا يكتشـف أى إنسـان آخـر كنز السمك الذى عثر عليه فى مياه المصرف .





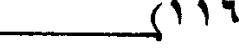
أنيـاب العصافيـر

عندما تسـلل إلـى حجـرة نومهـا أول شـعاع لضـوء الصباح صافح فى وجهها احمرار عينين لم تتذوقا طعم النوم طوال ليلة صيف، ولم يكـن الحـر المشـبع بالرطوبـة اللزجـة هو السبب فى هذا، وكذا لم يكـن طنيـن النـاموس الهـائم فـى فضاء الحجرة ولدغه هو السبب.

السبب الحقيقى لم تكاشف به أحدا حتـى الآن.. لقد طوته بإحكام وحرص شديد ودسته فى أقصى تجاويف عقلها وقلبها .. ليس لأنه يمثل جريمة وفقط .. وليس لأنـه يذهب بكرامتها وكرامة أمها فى عيون الناس مـن حولهـم وخاصـة أولئك الذين علموا بخبر خطبتها منه .. بل لأنها لم تزل فـى شك من تصرفاته تجاه أمها.

عندما تقدم لخطبتها فرحت بـه .. أجـابت بالموافقـة على أمها عندما طلبـت رأيهـا فرحـت بـه أمهـا أيضـا لفـرح ابنتها .. بقدرته الخاصة استطاع أن يذيب الحواجز والتكليف بينهم خلال أيام محدودة جدا .. بكلامه الحلو مرة .. بالهدايا الغالية مرة أخرى .. لم يكن يبخل بـأى شـىء.. حنـت عليـه أمها كولدها ورجل البيت .. فالبيت منذ أن توفى زوجها قـد

خلا من الرجال تماما .. ماعدا أيام المواسم والأعياد التى يأتى فيها خالها من البلد لكى يزورهما ويعمل الواجب ويصل الرحم .. فيما عدا هذا لم يدخل عليهما رجل .. ولذا كانت فرحتهما معا به مضاعفة بالمقارنة بغيرهما .. فها هو يتردد فى شقتهما صوت رجولى خشن يبعث الحياة فى أرجاء الشقة التى رقدت هامدة غير منزعجة بصوتين أنثويين ناعمين وواهنين كنسيم عصر الصيف .. لأول مرة منذ سنوات بعيدة يخرجان ويتجولان ويتنزهان فى أمان وسط كل الناس وهما فى حماية رجلهما الجديد .. لم تكن هداياه الثمينة يقصرها على خطيبته فقط .. كان يحضر لأمها مثلما يحضر لها .. لم تتحفظ الأم فى مشاعرها نحوه .. مما جعل ابنتها تتوجس لكل مايحدث أمامها بين أمها وبين خطيبها .. وخاصة بعد أن لمحت فى عينيه الكثير من نظرات الإعجاب الرجولى بأنوثة أمها الطاغية .. فكرت أن تحذر أمها من طيبتها الزائدة وحنوها البالغ على من تقدم لخطبتها حتى لا يسىء فهمها .. لكنها خجلت وترددت ولم تستطع ..داهمها أكثر من شعور .. اعتقدت أنها قد تكون



مخطئة فى كل خيالاتها .. قد تكون واهمة وأن هذا كلـه قد يكون مرده إلى شعورها بالغيرة على خطيبها من أمها المرأة الثانية التى يحنو عليها هو ..

.. ربما كان يحبهـا كأمـه وخاصـة أنـه حكـى لهمـا كثيرا عن مرارة فقدانه لأمه وهو طفل صغير وحرمانه من حنان الأم .. وربما أثر ذلك أيضـا فـى قلـب أمهـا واعتبرتـه ابنها وتريد أن تعوضه حنان الأم .. ربما لم يفهم هو ذلك .. ربما أول اهتمامها به وعطفها عليـه كحب أى امرأة لرجل ذكر..

منـذ أيـام وهـى دائخـة داخـل دوامـة لا تنتهـى مـن الربما والربما المعاكسة .. ومنذ أيـام وهـى تضـع تصرفـات الاثنين تحت مجهر عقلها ومشاعرها .. فـى كـل يـوم ينمـو تخمينها ويرتفع إلى حد اليقين بأن خطيبها لا ينظر إلى أمهـا نظرته إلى أمه، بل نظرته إلى أنثى مشتهاة .. لمحته بالأمس يختلس النظرات إلـى مؤخـرة أمهـا الرجراجـة، بينمـا كـانت تنصرف إلى المطبخ لتصنع له الشاى .. لم تستطع أن تتحكم فى أعصابها وصرخت فى وجهه بشكل مفاجىء مما جعلـــه



يرتج : ((ماهذا؟ كل يوم وكل ساعة تأتى لزيارتنا! .. أليس لك عمل تهتم به؟! .. إن لم يكن لديك .. فنحن لدينا ما يجب علينا عمله!!)).

يبدو أن أمها سمعت صوت صراخها فجاءت مهرولة بوجه يطفح بالاستفسار والدهشة .. كان ينظر إلى ابنتها هو الآخر فاغرا فاه دهشا .. بينما واصلت هى الصراخ فى وجهه وكذا فى وجه أمها : ((أنا لا أريدك .. لن أتزوجك أبدا.. لن تدخل بيتنا مرة أخرى .. هل فهمت .. لا أريده يا أمى .. لن يدخل هذا البيت الطاهر مرة أخرى .. هل فهمت مرة ثانية لا تدخل هذا البيت الطاهر .. هيا بالخروج من هنا حالا .. حالا .. حالا..)).

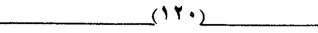
فى مواجهة الحالة الهستيرية التى تملكتها إلى حد الصرع والإغماء للحظات طلبت الأم متوسلة من الرجل أن يخرج الآن .. فخرج وبقيت هى تهدهد على ظهر ابنتها وتضمها إلى صدرها .. دخلت إلى المطبخ وعادت إليها مسرعة بعصير الليمون .. سقتها العصير بحنان .. نظرت الابنة فى عينى أمها الدهشة والمفعمة بالخوف عليها ..

سارعت باحتضان أمها بقوة وكأنها تخاف أن تهرب منهـا .. ضمتها أمها أيضا بقوة أكبر .. أخذت تهدهد عليها من جديـد فـى محاولـة لمساعدتها علـى النـوم .. فربمـا استيقظت مـن نومهـا وقـد زايلهـا هـذا الانفعـال القاسـى .. اصطحبتهـا إلـى غرفة نومها الخاصة.. ألقتها بهـدوء شـديد فـوق سـريرها .. لمحت عينيهـا الدامعتيـن .. سـألتها إن كـانت تحـب أن تبقـى معها بقية الليل؟ ..رفضت الابنة طالبة مـن أمهـا أن تتركهـا وحدها .. تمهيدا لنومهـا فـى هـدوء .. اسـتجابت الأم لطلبهـا فى الحال .. انسحبت خارجة من الحجرة مبتهلة إلى الله بأن يخفف عنها ويشـفيها .. أشـاحت الابنـة برأسـها الملقـاة فـوق الوسادة لظهر أمها وهى توصد خلفها الباب . همسـت : ((أم مغفلة لا تعرف ماذا يحـدث مـن خلـف ظهرهـا!!)) .. ظلـت تفكـر طـوال الليـل فيمـا ينبغـى أن تفعلـه لتضـــع حـدا لهـذه المصيبـة .. لـن تمكـن هـذا الرجـل مـن الانقضـاص عليهمـا معا.. توصلت إلى قرارهـا النهـائى .. لابـد أن تنهـض الآن وتصارح أمها بكل شىء .. ستحكى لها عن نظراته المنبهرة بأردافها وصدرها فى ذهابها وإيابها .. ستقول لها كيف أنـــه

منصرف عنها تماما بها هى .. لم يسمعها أية كلمة حلوة منذ أن خطبهـا .. لابـد أن يقفـا معـا فـى مواجهـة هـذا الشـيطان النجس الذى يود أن يدنس طهارة البيت ويعاشر البنت وأمهـا .. لو تطاول عليهما سيبلغان البوليـس ليحميهمـا منـه .. كمـا يجب إخطار خالها فى البلد ليحضر ويقف بجانبهمـا ويحـافظ علـى كرامتهمـا مـن هـذا الوحـش الآدمـــى .. ســتذهب إلـــى الصحـف لتكتـب قصتهـا مـع الذئـب البشـــرى .. ســتقول .. وتقول .. وتقول ...

وثبـت إلـى سـرير أمهـا فـى الغرفـــة المجـاورة .. جلست فى حجرها .. وبينمـا كـانت أمهـا ترقيهـا بـالمعوذتين وتدعو الله أن يذهب الله عن ابنتها الشياطين التى تلبستها .. كانت الابنة تقول لأمها عن كل شىء .. مما جعل الأم تزيـد من توسلها إلى الله بأن ينزع من جسدها كـل شـيطان رجيـم يتلبسها .. وهمست متأثرة : ((يا حبيبتى ألـف سـلامة لعقلـك هذا الرجل خطيبى أنـا .. كيـف يخطبـك وأنـت مـازلت ابنـة سبع سنوات؟!!)).





نداءات ليلية فى حجم الصراخ

لم تكن المرة الأولى التى اجتازت فيه هذه النداءات جدران بيتهم الطينى وتستقر فى أعماق آذانهم شبه النائمة .. لكنها كانت المرة الأخيرة التى يهملون الرد عليها .. فى الحقيقة لم يرد عليها جميع أفراد الأسرة الخائفة .. محمود فقط هو الذى سارع بارتداء جلبابه البلدى الفضفاض .. تنحنح عدة مراة مستعرضا بفتوة صحة وشجاعة سنواته العشرين .. توجه إلى الباب الخارجى فى محاولة لاجتيازه .. لكنه انتبه إلى أمه العجوز تتعلق به فى رجاء ..

استحلفته بصحته التى يتكلم عنها أهل القرية والقرى المجاورة ألا يطاوع تهوره ويخرج ..((الجنيات لا يصطدن إلا أشجع أبناء الإنس)) .. بصمت حاد كسكين نزع كل أعضائه من بين مخالب أمه الملتاثة .. ضرب قبضته فى فتحة الباب..انشق الباب نصفين..صرخت أمه كثكلى :

((لن أراك بعد اليوم يامحمود .. ستتزوجك الجنية وتأخذك معها تحت الأرض)) ..

.. تقدم خطوات بعيدة فى بطن الظلام المنداح على هوامش الشروق القريب والغروب البعيد .. تشبثت أمه بخشبات الباب المحطمة بعد أن فقدت القدرة تماما عن النطق المباح وغير المباح .. من خلفها زحف إليها زوجها المشلول.. جذبها من ساقيها النحيلتين .. فى الحال سقطت فوق ظهره .. حقق هدفه .. حملها فوق ظهره وواصل زحفه عائدا بها إلى مضجعها الشبابى العتيق .. طرحها على الفراش المهجور منذ أكثر من عشرين سنة .. فى اللحظة التى زحف إليها محاولا اعتلاءها مرة ثانية بعد عشرين سنة.. أفاقت من شرودها .. صرخت فيه ململمة ثيابها المتحسرة عن فخذين فى جفاف أفخاذ العصافير .. صرخت بدهشة ولوعة ((ماذا تقصد من كل ماتفعل؟!!)) .. هزته المفاجأة غير المحسوبة .. أدهشه إحجامها بعد استسلامها الغابر .. همس فى توسل ((هيا نصنع لنا محمودا جديدا .. لقد خطف محمود القديم..)) .. لم تجب عليه بكلمة .. فقد

مطـت شـفتين جـافتين لـم تسـقطا بعـد مـن حـول أسـنانها المتساقطة .. ثم أدارت ظهرها له وأسمعته شـخيرها .. أدار هو الآخر ظهره لها بصعوبـة شـديدة وهمـس لنفسـه ((معهـا حق .. نحن لم نصنع محمودا .. لقد صنعتـه العشـرون سـنة الفائتـة .. صنعتـه هـو وهدمتنـا نحـن!! .. يجـب أن نعـترف بالواقع الفظيع كل ليلـة قبـل أن ننـام!...)) .. ثـم غـرق هـو الآخر فى نوم مسموع .

مع الضحى البـاهر اقتحمـت أشـعة الشـمس العتيـدة أحلام الأبوين فى أحضان نومهم المهموم .. نسيا أن النوافذ لم تزل مشرعة كما تركها محمود بـالأمس . وأن البـاب لـم يزل محطما كما حطمه محمود بالأمس .. وأن معظم كـلاب القرية اقترنت بقططها مع الفجر كمـا حضـرا أعراسـهم فـى حلمهمـا .. وبنظراتهمـا الواهنـة الكليلـة .. قـدرا أن أعـداد الكلاب والقطط المصطفة خارج بـاب الـدار تتجـاوز التعـداد المأخوذ بـه فـى الإحصائيـات الرسـمية للقريـة منـذ أقـل مـن أسـبوع مضـى تقريبـا .. ((إذن لابـد أن هنـاك وافديـن جـددا مندسين بين السكان الأصليين .. نظرنا ضعف لدرجة أننا لم

نعد قادرين على التمييز بين الوافد والأصلى .. آه لو كان ابننا محمود بقى معنا ولم يذهب بكيفه ورضاه إلى الجنيه ليعيش معها تحت الأرض ويتركنا هنا نعانى الخوف من الغرباء .. لو كان معنا الآن لتمكنا من معرفة الحقيقى والمزيف .. لكن لعنة الله على هذه الجنية التى تتخير أفضل شباب القرية وتلفظ ضعافها وعجزتها فى حالة انتظار .. آه يا حبيبنا يا محمود ..متى ستعود؟!!!)).

توقفت سيارة فى بياض اللبن الحليب أمام باب البيت الذى لم يزل محطما .. نزل محمود من سيارته الفارهة وقد اعتلت صحته .. لم يكن مرتديا للجلباب الفضفاض الواسع .. كان يرتدى أزياء مختلفة .. ظن أبوه الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة أن ابنه قد صار هو الآخر جنيا .. استعاذ بالله من الشيطان الرجيم .. وسأله عن هويته .. استغرب محمود لأن أباه لم يتعرف عليه لمجرد أنه غاب عنه عشر سنوات فقط .. سأله عن أمه .. فأشار أبوه بأصبعه للمرة الأخيرة إلى أحد أركان الحجرة بها بعض عظام بقيت من موائد الكلاب والقطط .. وقال بمرارة كلماته

الأخيرة : ((هذه العظام هى كل ماتبقى لنا من أمك ..)) .. ثم شهق شهقة الموت .. بكى محمود كما لم يبك مـن قبـل .. أخرج من جيبه الكثير من الدولارات والريـالات أمـر النـاس الخـاضعين لـه بتحويـل بيتـه القديـم وأمـه وأبيـه إلـى متحـف سياحى فاخر تكريما لهما .. نعاهما فى صفحـات كاملـة فـى الجرائد والمجلات .. لكنه مـع أول الليـل انتبـه للجنيـة التـى تسكنه .. ابتسم لهـا .. ونسـى فـى الحـال المتحـف السـياحى الفخم وما به من تحف .

ضياع جاد السيد

لفحت خواطرها رياح القلق وهى تتفحص مابين فخذى رضيعها الذى ابتل جسده الأسفل لتطمئن على عملية الختان التى قام بها طبيب المستوصف منذ أيام .. حاولت أن تشغل رضيعها لحين الانتهاء من فحصه، فألقمته حلمة ثديها الذى يفيض بالحليب .. همست لنفسها بحسرة ((ها هم دكاترة القاهرة .. لا يعرفون كيف يطاهرون طفلا!!.. عملية، وجراحة، وتغيير يومى للجرح .. وفى النهاية لا ينجزونها باتقان ونظافة كما كان يفعل حلاق القرية محمود أبو الحسن .. طاهر لى طفلين .. لم يترك لهما أى زوائد .. لم يفكر فى تطهير الجرح بعد الختان .. كان يقول إن ماء بول الطفل سيتولى تعقيم الجرح .. فى كل مرة كان يصدق قوله، ويلتئم الجرح فى خلال ثلاثة أيام فقط .. بينما طبيب مصر لم تلتئم جراحته لطفلى حتى الآن، لقد مر على يوم

ختانه أكثر من عشرة أيام .. إن الهم الأكبر أن الجرح تقيــح ويؤلم الطفل .. لأول مرة يتقيح لطفل من أطفالى جـرح مـن ختان حرمنى من النوم طـوال الليـالى الماضيـة .. صـراخ وبكاء من شدة الألم والمصيبة الكبيرة أنه ترك للطفـل زوائـد كبيرة حول الجرح .. ربنا يستر!!)) . انتابها إحساس جارف بالتعامل مع طفلها وهو فى هذا الألم والعـذاب الـذى يجتاحـه وهو لم يزل ابن ثلاثـة أشـهر فضمتـه إلـى صدرهـا الفخيـم، وشــرعت تمطــره بقبــلات متواصلــة متلاصقـــة أرادت أن تصرخ هذه المرة فى وجه زوجها .. لن تسـمح لأى دكتـور فى مصر أن يجرى جراحة جديدة لطفلها .. لن تصبر شهرا أو شهرين، ولو ثبت فشل عملية الختـان هـذه لحملـت طفلهـا وعادت به إلى قريتها .. ستمكث أسبوعا فى ضيافـة أبويهـا، وينجز له الحلاق عملية الختان كما أجراها لأخويه مـن قبلـه .. لن تنقاد مرة أخرى لآراء زوجها حـول تقـدم الطـب، لـن تسمع إلى مايقوله عن جهل الحلاق .. فجأة صـرخ الرضيـع بحرقـة كـأن النـار تكويـه .. انتبهـت إلـى أصـابع يدهـا التـى انزلقت دون وعى منها إلى عملية ختانه الملتهبة المتورمة ..

فى الحال رفعت أصابعها نادمة مؤنبة نفسها .. من جديد راحت تضمه إلى صدرها وتعتذر له بكلمات لا يفهمها .. وقبل أن يسكت الرضيع فى حجر أمه انتصب واقفا أمامها ولدها الذى يكبر رضيعها .. كان يفرك فى عماص عينيه ويصيح فيها بنبرة عالية ((أنا جوعان .. عايز سندوتش فول يا أمه)) .. صرخت فيه موبخة : ((هل أنت حمار .. يا بهيمة؟!! .. ألم يضربك أبوك أكثر من مرة على كلمة أمة؟!! ..تبدو كأنك جاموسة الوسية؟!.. نحن الآن فى القاهرة فى مصر .. لقد تركنا القرية من زمن ويجب أن تناديني بماما .. هل فهمت يا بقرة السيد؟!..)) لم يعر طفلها كل كلامها أدنى اهتمام .. كأنه لم يسمعها .. ارتفعت نبرة صراخه إلى حد أنه صرخ فيها ((قومى ياولية هاتى لى سندوتش فول كبير)) .. لم تتمالك نفسها من الضحك على عدم مبالاته بكل تعليماتها وتعليمات أبيه حول تغيير المسميات بغيرها بعد تغيير محل إقامتهم من الريف وإلى مدينة القاهرة حيث انتقل زوجها إليها ليعمل فى نظافة وتجميل محافظة القاهرة .. وصار له مرتب ثابت يتقاضاه

كل أول شهر .. وشعروا بالأمان وعدم الخوف من الغد أو المستقبل كما كان الحال أيام كان يعمل زوجها فلاحا وأجيرا عند الآخرين .. يعمل يوما .. لكنه لا يحصل على العمل فى أيام كثيرة .. وإذا مرض انقطع رزقهم جميعا، وماتوا من الجوع .. وكثيرا ما كانت تردد مع أمها مثلها الخاص ((حزينة مائة مرة من لم تتزوج موظفا فى الحكومة)) إلى أن ضحك لها زمانها وتوسط لهم الأستاذ سعيد المحامى – ابن القرية الذى يعمل فى القاهرة – واستطاع أن يحصل لزوجها على هذه الوظيفة فى الحكومة .. انتقلوا جميعا للسكن فى حجرة واحدة فى القاهرة .. فى أول أيامهم شعروا بالحرج والضيق .. فهم لم يعتادوا من قبل على العيش فى شقة واحدة مع غرباء .. لم يعتادوا على أن يكون حمامه مشتركا مع الآخرين .. فكرت أن تعود إلى بيتها الواسع المستقل فى القرية .. لكن زوجها أقنعها بأن الجميع فى القاهرة يعيشون بهذه الطريقة .. وأن كل هؤلاء الذين يعيشون معهم فى بقية حجرات الشقة ويستخدمون معه نفس الحمام الوحيد فى الشقة للاستحمام وقضاء الحاجة، هم أيضا

أولاد ناس ومن عائلات محترمة فى بلادهم .. لكن الزمن جار عليهم .. ولابد لهم أن يفعلوا هنا كما يفعل الآخرون حتى لا يشعروا بالغربة أو بالضيق والحرج .. مع الأيام استطاعت الاعتياد على هذه الحياة الغريبة والجديدة .. لم تعد تجد أى حرج لو ذهبت إلى الحمام ووجدت بداخله زوج جارتها .. وفى الحال تنسحب فى حياء وتظل تنظر من خلف بابها الموارب حتى يخرج ويدخل حجرته، وتسارع هى إلى الحمام مصطحبة طفلها الصغير ليقضى حاجته معها فى نفس الوقت وتغسل له وجهه .. صارت تجد فى الدخول إلى الحمام المشترك متعة غامضة .. وعندما وجد زوجها أن أبناء وبنات الجيران ينادون أمهاتهم وأباءهم بماما وبابا .. قرر هو وبشدة أن ينادى أولاده بنفس المسميات .. ونبه عليهم بضرورة نسيان ما تأثروا به فى القرية .. حتى لا يشعر من حولهم بأن هؤلاء القادمين الجدد أقل منهم أو أنهم من الفلاحين .. لم تكن هناك مشكلة مع الولد الأكبر .. لقد استوعب الأوامر بسرعة فى اللعب مع الآخرين سواء فى المدرسة أو فى الشقة والحى الذى يسكنون فيها ساعده على

الاستيعاب والتأقلم مع الجديد .. لكن هذا الأكول المفجوع ابن الثلاثة أعوام من الصعب عليه أن ينطق بكلمتى بابا وماما .. بالرغم من أن أباه ضربه أكثر من مرة .. لكن كل مايهمه فى هذه الدنيا هو سندوتش الفول .. فنظرت إليه من جديد وأغربت فى الضحك وهمست إليه بصوت خفيض كأنها ترجوه ((انتظر لحظات .. سينام أخوك الرضيع الآن .. وبعدها سأنهض وأصنع لك سندوتشين فول .. أبوك اشترى خبزا طازجا .. ضع رأسك تحت حنفية الحمام واغسل وجهك .. ستجده خاليا الآن .. كل الناس راحوا أشغالهم ومدارسهم والسوق ..)) وختمت همسها بقبلة وضعتها له فوق خده المكدس باللحم كأنها ترشوه بها ليتحرك من أمامها دون إثارة أو اعتراض حتى تتمكن من تنويم الرضيع المتألم، وحتى يمكنها أيضا إنجاز نظافة الحجرة وترتيبها وإعداد وطهى طعام الغداء قبل أن يعود ولدها من المدرسة وزوجها من الشغل .. يبدو أن الصغير أدرك أنه لا وسيلة للحصول على سندوتش الفول الذى صار مدمنا له إلا بالانسحاب إلى الحمام وغسيل وجهه .. انسحب

فى صمت مكره .. واصلت هى هز فخذها الذى يرقد عليه الرضيع هزات منتظمة رتيبة حتى استغرق فى نوم عميق .. حصنته بالله وبالرسول ووضعته بهدوء تام فوق فراشه على الحصيرة .. بدقة متناهية وبحرص شديد راحت تستر نصفه الأسفل حتى لا يتجمع الذباب فوق جرحه المتقيح .. كانت تحاذر من أن يمس الغطاء الجرح فيؤلمه وينتفض صارخا .. نهضت من جواره، وهى تتوسل إلى الله أن يهديه ويظل نائما إلى أن تنهى كل أعمالها قبل أن يعود ولدها وزوجها..

استدارت إلى الخبز الطازج الذى تلفه فى الفوطة النظيفة ليظل طريا حتى الغداء .. أخذت رغيفا .. شقته بأصابعها إلى نصفين .. أفرغت فى كل نصف بالتساوى ما كان متبقيا من صحن الفول المدمس .. فلقد تناول الجميع إفطارهم .. لم يتبق إلا هذا المفجوع نائما .. عاد طفلها من الحمام بوجه نصف مغسول .. كان العماص مازال مترسبا حول أهدابه .. صاح فى أمه : ((أين سندوتش الفول يا امه؟!!)) .. لم تتركه يستمر فى كلامه .. انتزعته من يده .. خرجت به إلى الحمام لتغسل له وجهه .. لكن الحمام كان قد

أغلق للحظـات ما لبث أن انفـرج عـن جـارتهـا الساكنـة فـى الحجـرة الملاصقـة .. ألقت عليهـا تحيـة الصبـاح بارتيــاح، وطيبـة، وسـألتها بتعـاطف ((كـان اللــه فــى عونــك وعــون الرضيع .. لماذا كان يبكى طوال الليل؟! .. لقد كان صراخه يشق قلبينا أنا وزوجى، كنت على وشك أن أدق عليكم البـاب لتقديم أية مساعدة)) .. شكرتها على طيبتها وأصلهـا وشـكت لها بغضب كيف أن أطبـاء مصـر لا يجـرون عمليـة الختـان كما يجريها الحلاقون.

لم تعترض عليها جارتها، بل أيدتها قائلة : ((معـك حـق يـا حبيبتـى، كمـا يقـول المثـل "اسـأل مجربـا ولا تســأل طبيبا"..)) .. وقبل أن تكمل حديثهـا.. شـعرا معـا بمـن يفتـح باب الشقة لاحظت أن رجلا غريبا .. تقـدم منهمـا .. سـارع بسؤالهما : ((أين أجد مسكن التلميـذ جـاد السـيد مصطفـى .. التلميـذ بمدرسـة النهضـة الحديثـة؟)) كـانت تسـمع اسـم ابنهـا الأكبر ينطقه رجل لا تعرفه .. ضربت بيدها على صدرهـا، وصرخت فى رعـب : ((خيرا! .. أنـا أمـه!! .. أجـرى لـه شىء؟!!)) .. تقدم منها الرجل وأكمل حديثه بشكـل عـادى لا

أثر للفزع عليه : ((لماذا لم يأت اليوم إلى المدرسة؟ .. لقد تغيب)) .. غامت الدنيا فى عينيها وارتعشت أطرافها وصرخت مؤكدة ((كيف لم يذهب إلى المدرسة؟!! .. لقد خرج منذ الصباح ومعه حقيبة كتبه إلى المدرسة .. أمتأكد أنت من ذلك؟!!)) .. أجابها الرجل بدهشة لأنها لا تثق فى كلامه ((بالطبع متأكد .. أنا المسئول عن ذلك .. ناظر المدرسة بنفسه هو الذى يكلفنى بذلك بعد أن يحصر الغياب بنفسه فى كل الفصول)) ..

لم تكن فى حاجة لمعرفة من المسئول ولا من الذى يحصر الغياب .. كل ما كان يهمها هو التحقق من صحة هذا الخبر .. تأرجحت قامتها .. شعرت بنفسها تسقط فى حيرة من الارتباك والحيرة .. ماذا تفعل هى الآن؟!! .. كيف ستتصرف؟ .. إنها لم تأت إلى مصر إلا منذ ثلاثة أشهر فقط .. لا تعرف فى مصر أى مكان .. لو كانت فى القرية، لعرفت عن ابنها كل شىء .. هناك أهلها .. كل أهل القرية أهلها .. لو وقع لها مكروه ستجد الجميع حولها .. لكن هنا.. إلى أين تذهب؟ .. تفقد ابنها ولا تعرف كيف

تتصرف .. لا تعرف حتى مكان عمل زوجها .. تعرف أنـه يعمـل فـى محافظـة القـاهرة .. لكنهـا لا تعـرف أيـن هـى .. وكيف ستذهب إليه وتترك رضيعها المتـألم وابنهـا الصغير؟ .. أفاقت علـى يـد الرجـل الممـدودة إليهـا بورقـة يقـول أنهـا إعلان عن غياب ابنها .. يطلب منهـا أن توقـع علـى اسـتلام الاعلان حتى يبرأ من مسئوليته .. احتارت وهى تنظـر إلـى الورقـة الخرسـاء .. فهـى لا تعـرف القـراءة .. ولا تعـرف كيف تكتب اسمها .. ولا تعرف أيـن يوجـد ختمهـا النحاسـى الـذى تسـتخدمه بـدلا مـن التوقيـع .. لقـد اضطربـت أمامهـا المرئيات .. لم تعد قادرة علـى التفكير فـى شـىء .. سـألت الرجل بتوسل : ((ألا تعرف أين توجد محافظـة القـاهرة؟ .. زوجى يعمل هناك)) .. تأفف الرجل .. صرخ فيها مستهجنا : ((أنا مهمتى أخطركم فقط بغياب ابنكم .. هناك العديـد مـن التلاميذ الغائبين وعلىَّ أن أخطـر أهلهـم الآن أيضـا .. ليـس لدى وقت كى أصف لك المحافظة ..)) .. لم يعجب جارتهـا رد الرجل الجاف عليها .. فتخلصت مـن دهشـتها وجمودهـا وصاحت فيه معنفة : ((مالك تتكلم بعصبية هكذا؟! .. كما لو

كنت ابن سبعة أشهر؟!!)) .. نظر إليها هى الأخرى بضجر ولم يعقب عليها .. فضل أن ينسحب من أمامها بسلام .. خمن أن هذه المرأة من النوع الساقط الغجرى .. يمكن أن تضرب نفسها بزجاجة مكسورة .. ثم تتهمه بضربها أمام الشرطة .. تركهما فى الحال .. شردت المرأة للحظات ولم تستجب لصياح ابنها طلبا لسندوتش الفول .. اقتربت منها جارتها أكثر .. سألتها مستفسرة : ((أليس لكم فى القاهرة أى قريب يمكن أن يذهب إليه؟)) .. هزت رأسها بذهول نافية أن يكون لها أى مخلوق فىالقاهرة .. أجابت وقد أخذت دموعها تنساب فوق وجهها : ((ليس لنا هنا غير الله)) .. أجابتها جارتها مطمئنة بإخلاص : ((ونعم بالله .. لا تحملى هما .. إن شاء الله سيرجع ابنك .. لا تخافى عليه .. أنا سأرتدى ملابس الخروج وأنزل معك .. سنذهب إلى المدرسة أولا .. نستفسر عنه من أصدقائه .. ثم بعد ذلك نمر على كل المستشفيات وأقسام الشرطة .. ربما عثرنا عليه قبل أن نذهب إلى أبيه ونخطره)) .. شهقت أمه بذعر قاتل .. ارتفع نشيجها .. تعالى إلى حد الولولة والصراخ :

((يا حبيبى يا ابنى .. المستشفيات وأقسام البوليس؟!! .. ماذا أفعل الآن .. أنا هنا قليلة الحيلة يا رب .. ليتنا لـم نـأت إلى القاهرة .. ليتنا بقينا بالبلد ولو بدون طعـام .. فقد فقدت أكبر أبنـائى .. أول فرحتـى ..)) كـان الرضيـع قـد اسـتيقظ صـارخا ملتاعا .. لكـن أمـه لـم تعبـأ بصراخـه .. أهملتـه .. طفلها الذى يكبره .. ترك الجميع وأسرع إلى سندوتش الفول الذى لمحه فوق الطبلية .. انكفأ فوقه زاهدا فى كل ما حولـه من صراخ وعويل غير مفهوم .. لـم يعبـأ بمنظـر أمـه التـى استحالت إلى امرأة مجنونة .. أقبلت إلـى حجرتهـا .. لبست جلبابها الأسود بـالمقلوب .. لفت رأسـها وشـعرها بطرحتهـا السوداء .. لم تـع أن نصـف جسد رضيعهـا الأسـفل مـازال عاريا .. دحرجتـه علـى كتفهـا بينمـا كـان يواصـل اسـتغاثته الصـارخـة .. بكـى طفلهـا الثـانى عندمـا انتزعتـه أمـه بـدون مبرر من فوق سندوتش الفول .. تمكن فـى اللحظـة الأخيرة من القبض على جزء منه قبل أن تقذف به أمه إلـى الطريـق وهى قابضة عليـه بيدهـا .. كـانت تواصـل تجفيـف دموعهـا المنهمرة فى صحبة جارتها التى أغلقت حجرتها هى

الأخرى بعد أن تركت ورقة لزوجها على الباب شرحت لـــه فيها الظروف ..

فـى طريقهم إلـى المدرسـة كـانت تتلفت فـــى كـل الاتجاهات .. كانت تحملق فى كل مـن تلقـاه .. كأنهـا تتوقـع من أيهم أن يقبل عليها ليخبرها عن ابنها جاد السيد مصطفى .. دموعها المنحدرة بشكل متواصل بللت صدرهـا .. يـزداد الأمل فى نفسها كلما نظر إليها أحد المارة .. تنتظـر منـه أن يتقدم منها ليرشدها إلـى ابنهـا المفقـود .. لكـن لا أحـد يتقـدم منها .. لا أحد يسألها حتى عن سـبب بكائهـا .. كـأن النـاس استحالت قلوبهم إلـى حجـارة .. لـو كـانت فـى القريـة الآن لتجمع حولها كل مـن يراهـا عارضـا المسـاعدة .. تطوعـت جارتها بمد يدها إلى طفلها الذى يسير بجوارها باكيا وممسكا بما تبقى من سندوتش الفول .. تولت هـى الإمسـاك بـه بـدلا من أمه قائلة لها فيما يشبه المواساة : ((عليك أنت بـالرضيع .. هدهدى علـى ظهـره حتـى يتوقـف عـن البكـاء .. غطـى نصفه الأسفل بجزء من طرحتك، لتحمى جرحه مـن الذبـاب والشمس ..)).



فى المدرسة لم تتمكن عيناها الزائغتان من العثور على أى ملامح لوجه جاد السيد فى خضم الوجوه الطفولية التى تتماوج بها ساحة المدرسة الابتدائية أثناء الفسحة .. ناظر المدرسة دعك خاتمه الذهبى الضخم فى جاكتته وهتف متملصا من نظرات شكها ولهفتها : ((المدرسة غير مسئولة عن واقعة غيابه .. ماعليها إلا البلاغ فقط)).

كعمياء تتحسس طريقا موحلا غادرت مدرسة جاد السيد ممسكة بذراع جارتها التى قررت أن تقودها إلى قسم البوليس .. إلى أقرب قسم بوليس .. تشاغل طفلها الممسك بذراع الجارة أيضا بمطالعة الناس والسيارات المسرعة فى الطرقات .. فرغ لتوه من التهام سندوتش الفول .. التهب جوفه بالعطش .. فصرخ يطلب ماء .. مالت الجارة فى طريقها إلى أحد المقاهى البلدية .. استجدتهم كوب ماء للصغير العطشان .. مد إليها أحدهم كوبا من الماء الحار بغير طيب خاطر .. صبه الطفل فى جوفه وتوقف بكاؤه .. لكن الرضيع لم يتوقف هديره الموجوع .. بعض الجالسين على مقاعد المقهى أداروا وجوههم مبتعدين حفاظا على

عيونهم المرهفة من متابعة تلك المرأة المقنعة بملامح العيون.. كان يتراءى لهم أنها على وشك أن تلتهم صغارها .. ثم تنقض عليهم .. ترتدى ملابس مقلوبة .. وتترك رضيعها على صدرها عارى الجذع .. وطفلها الآخر يتكالب على فمه ذباب جائع .. نظراتها الزائغة تشى برعب إلى حد الجنون .. لم تأبه بمن يتابعها .. جاد السيد ابنها لابد وأن يكون موجودا بمكان ما .. أيمكن أن تجده هنا؟ .. ربما بين الجالسين .. أو حتى تحت المقاعد أو الطاولات .. هيىء لها أنه سيسمع صوتها فصرخت فى وجه الراصدين لها صرخات مرتجفة هاتفة باسمه : ((يا جاد .. يا حبيبى يا ابنى!! .. أتسمعنى يا جاد؟ .. رد على امك يا جاد .. طيب تعالى .. سنرجع القرية .. لن نسكن فى مصر .. سترجع لتلعب فى الغيط .. ستركب نورج جدك .. ستركب الحمار وتسابق صاحبك مخيمر .. ارجع لأمك يا ابن السيد .. يا بنى يا حبيبى....)) .. أعقبت عواءها هذا بانفجار مروع من البكاء .. لم تتمالك جارتها نفسها أكثر من هذا .. انهارت هى الأخرى فى بكاء بينما كانت تهدهد على كتفها وتجرها

مبتعدة بها بعيدا عن المقهى ورواده الذين جفلوا .. وسيطر عليهم الفزع الحقيقى من المجنونة .. انساقت معها دون مقاومة .. لكنها لم تتمكن من التوقف عن الكلام .. لم تكن تعرف لمن تتحدث على وجه التحديد .. كانت تحاسب نفسها بصوت عال .. ربما لتدين نفسها فى وجود جارتها أو فى وجود العابرين على هامش الطريق .. ((كل الحق علىَّ أنا .. لماذا استجبت لكلام زوجى وأتينا إلى مصر .. جاد .. لم يحبها فى يوم من الأيام .. منذ أن دخل مدرسة مصر وهو يأتى بين يوم وآخر باكيا رافضا الذهاب إلى المدرسة مرة ثانية .. زملاؤه يضربونه ويعيرونه بأنه فلاح .. طلبت من أبيه أن نرجع إلى البلد .. صرخ فى وجهى واتهمنى بأنى لا أجيد غير معاشرة الجاموس والحمير ولدغات الناموس .. يا ليتها دامت أيام الجاموس والناموس وبقى معى ابنى .. إنه أول فرحتى .. مالنا نحن .. منك لله يا سيد يا أبو مصطفى .. تريد أن تجعلنا من أهل البندر .. ها هو ابنك قد ضاع . لن نراه مرة أخرى .. يا حبيبى يا جاد يا بنى .. أين أنت يا عين قلب أمك؟..)) .. صرخ فيها ضابط قسم الشرطة الذى

اقتحمته ملهوفة مع جارتها .. ((اهدئي .. لا تصرخي .. أنت هنا في مكان عمل .. في قسم شرطة محترم .. اذكري بياناته بالتفصيل ..)) .. تمكنت جارتها من مساعدتها على الإدلاء بالبيانات المطلوبة .. بعد ذلك صاحبهما إلى حجرة في أعماق قسم الشرطة .. فتح أمامها الباب .. وطلب منهما أن يتعرفا على الولد المفقود .. بحثا معا في العديد من وجوه الصبية والأطفال في حرز القسم .. لم تلتصق ملامح جاد السيد مصطفى بعيونهما .. نخرت خيبة الأمل من جديد في قلبها لم تتمكن من الحفاظ على صمتها الموقوت، فهدرت بالعويل المحموم تأفف الضابط المهتم بنظام وهدوء القسم وقبل أي اعتبارات أخرى أن يأمر أحد الجنود بإلقاء هذه المرأة المجنونة خارج مبنى القسم .. في الحال جرتها جارتها جرا وبشدة .. لم تتوقف في طريقهما إلى أقرب مستشفى عن خلط البكاء بالدعاء على زوجها الذي ركض خلف الوظيفة الحكومية والمدينة، وضحى بابنه حتى يتم قبوله كواحد من سكان القاهرة .. أقسمت من جديد أنها لن تبقى في هذه المدينة التي تلتهم سكانها .. ستبحث عن ابنها

وتنجو به من وحشيتها وقلبها الحجر..

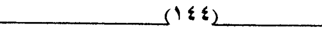
عندمـا اقتربـا مـن المستشفى اختلـط مـا تـراه بمـا تتوهمه . نفس ملامح ابنها جاد السيد مصطفى يقـف بـالقرب مـن بـاب المستشفى .. لـم يكـن بمفـرده .. كـان معـه خالـه عويس وكذلك زوجها سيد .. حسبتهم للحظـات وهمـا .. لـم تعرهـم اهتمامـا .. واصلـت عويلهـا، جذبتهـا جارتهـا بفـرح مشيرة إلى الواقفين الثلاثـة بـالقرب مـن بـاب المستشفى .. ((ها هو جاد مع أبيه!!)) .. أقبل جـاد إليهـا .. بينمـا تملـص الطفل الصغير من يد جارتهم وهرول إلى أبيه باكيا وضاربا إياه بيده الصغيرة صائحا ((عايز سندوتش فول يا با)) صرخ فيه أبوه بحدة ((ألم أقل لك انس كلمة آبا هذه يا عجل الوسية قول يا بابا..)) كانت زوجته قـد اقتربت منـه فصرخت فيـه بحدة ووحشية : ((لـن يقـول بابـا مـن اليـوم سيقول آبـا .. وسأترك لك أنا وأولادى مصر .. سنعود إلى البلد مـع أخـى عويس.. وافعل أنت ماتشاء.. حتى لو طلقتنى)) .. هز رأسه مغتاظـا : ((امرأة مجنونـة أنـت وأولادك !!.. ابنـك الكبـير يهرب إلى القرية ويأتى به خال.. ويرفض البقاء فى مدرسة

مصـر ..عايـز يرجـع للحمـار والجامـوس والنامـوس ..وأنت تصرخين وتطلبين العودة إلـى الفلاحيـن أو الطـلاق .. مـاذا أفعل؟ !! .. كنت أريد أن أرفع من شأنكم .. لكن يبـدو أنكـم وجوه فقر وتخلف .. هيا جهزوا أنفسكم لكـى نرجـع جميعنـا إلى الهم .. إلى القرية)) .

لم تتمالك الزوجة نفسها وأطلقت الزغاريد مما لفت انتباه المارة .. فتجمعوا حولهم يسألون عـن السـبب .. لكنهـا لم ترد عليهم .. تركتهم حـائرين .. ولكأنهـا أرادت أن تنتقم منهم لأنهم لم يتجمعوا حولها زمن بكائها.

احتل التوجس والشـك قلـب الجـارة علـى إثـر هـذه التصرفات المفاجئة من جارتها .. حملقت فى وجهها الذاهـل وعينيها الغائبتين .. سألتها بذعر ((لم كل هذه الزغاريد؟!!.. أتتوقعين العثور على جاد حالا؟ !!)).

نظرت إليها أم جاد باشـمئزاز وارتيـاب وصرخـت فيها موبخة : ((هل جننت يا جارتى؟ !! .. مـالك لا تفكريـن كما يفكر العقلاء؟ !! .. ألا ترين جادا يمسك بيد خاله



عويس مع زوجى السيد أبـو مصطفـى؟!! هنـاك عنـد بوابـة المستشـفى.. ألـم نراهـم هنـا منـذ قليـل؟!! هـل عميـت عيناك؟!!)).

كادت الجارة تصدق مازعمت به أم جاد لـولا أنهـا مسـحت بعينيهـا الحـادتين بوابـة المستشـفى، بـل وواجهـة المستشفى كلها فلم تر شيئا .. لم يكن هنـاك مخلـوق بـالقرب من باب المستشفى .. استرجعت ذاكرتهـا .. تـأكدت أنهـا لـم تتبهها إلـى أى شـىء عـاودت النظـر إلـى وجـه جارتهـا .. استشفت فيهما نوعا غريبـا مـن السـكينة، انتابهـا الكثير مـن الفزع المستتر خلف جفونها .. قبل أن تقـرر الجـارة برعـب الخطوة التى يجب أن تنفذها مع أم جاد المسكينة .. هجمـت عليها منتزعة منهـا طفلهـا الممسـكة بيـده .. وصرخـت فيهـا بوحشية .. دعى ابنى يا خاطفة الأطفال .. خطفتى منى جادا وتفكرين فى خطـف ابنـى الصغـير عجـل الوسـية ..)) . ثـم عاجلت بدفعها دفعة قوية أطاحت بالجارة – التى فوجئت – علـى الأرض فـى حضورجمـع مـن النـاس ..خجلـت الجـارة وراحت تلملم ملابسها، وتستر عرى فخذيها على إثرالسقوط.

ولذا لم تعبأ بما فعلته أم جاد حينما شقت طريقها بين المارة والسيارات المسرعة صارخة وهاتفة باسم جاد السيد مصطفى .. كانت تتعمد رفع صوتها حتى يطغى على صراخ طفليها المحتضنة لهما بفزع ...



مطبوعات الفجر

صدر منها :

١- تغريبة عبرزاق الهلالى (دراما شعرية) د.يسرى العزب
٢- الهاموش (مجموعة قصصية) حسن نور
٣- المبعدون (مجموعة قصصية) إدريس على
٤- حكايات مصرية (مجموعة قصصية) د.نجدى ابراهيم
٥- الدائرى (رواية) د.نجدى ابراهيم
٦- شجرة مريم (شعر) د. يسرى العزب
٧-تأملات فى الفن والثقافة(نقد) د.محمد حسن عبدالله
٨- أمسيات عائلية هادئة (مجموعة قصصية) منتصر ثابت
٩- شجر الليمون (شعر) خالد النشوقاتى
١٠-عصفور الحب (شعر) نجاة خليل

المراسلات :

باسم المشرف على التحرير
الجيزة - أرض اللواء - فيصل
١٥ شارع محمد منصور
ت : ٥٧٠٢٢٤٢

زرد مصر للطباعة والكمبيوتر
كفر شكر - قليوبية
ت : ٢٥٦٢٦١٨ القاهرة